حمام الثلاث

رواية

تريزه حداد

مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

المدير العام

أحمد فؤاد الهادى

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

الطبعة:الأولى

الكتاب:حمام التلات

المؤلف:تريزه حداد

تصنيف الكتاب: رواية

التصميم والإخراج: م/مارك منير

المقاس: ١٤ × ٢٠

رقم الإيداع: ١٦١٩٦ / ٢٠١٨

الترقيم الدولى: 978 - 977 - 776 - 472 - 8

العنوان : المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة

التليفون : ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢

Email : yastoron@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

إهـــــداء

إلى دمعة السعادة التى احتوتنى حينما كنت لا شىء
إلى نبض الروح الساكن فى وجدانى
إلى من خلق بداخلى نفسى

بطـــه

هى الآنسة بطه ذات الأربعين عاماً وكسور، تعمل كياسه فى حمام شعبى يطلق عليه أسم حمام التلات. قصيرة القامة محدودة الجمال قوية العزيمة، تمتلك نظرة أسد جسور. ولكن كل هذه الصفات ليست سبب تأخرها فى الزواج ولا حتى نوع مهنتها. كانت بطه تمتلك فى مرهقتها وشبابها نظرة غريبة للأشياء، حتى أنها كانت ترى الشر المغلف بالكلام المعسول، وكانت تحذر من سيصيبه شراً منه، حتى الرجال كانوا كلما اقتربوا منها بعدوا عنها بعدما تثبت لكل منهم مراده الحقيقى خلف هذا الود المصطنع، لم تر فيهم من يجذبها أو يرغب فيها لشخصها، وليس لجسدها أو مرتبها من المهنة التى فرضت عليها بعدما تمكنت منها بجوار والدتها منذ ٢٣ عاماً، حتى فوجئت بالوقوف محل والدتها بعد رحيلها، ورغم انعزالها عن عالم الرجال داخل الحمام المزدحم بالنساء والبنات ظلت نظرة الجمال باقية فى عينيها، تقيم بها كل سيدة أو فتاة تدخل هذا المكان، حتى أتقنت مواطن ضعفهن وقوتهن وسبب كل فعل تفعله إحداهن. تأتى السيدة تنام أمامها لتكيسها وتتحسس جسدها وتسمعها ماتبغى السيدة

سماعه وتعرفه منها حتى تكتسب ثقتها؛ وكرم البقشيش الذى تضعه السيدة فى ثدى بطه .تقف بطه من التاسعة صباحآ حتى الرابعة عصرآ على قدميها، يدها على جسد كل أنثى تأتى أمامها وعيناها على كل أنثى تدخل. .تحلل مظهرها ؛تقيم تصرفاتها؛ وتبحث داخل كل منهن عن الجمال الذى يجذبها لتشبع روحها تسبيحآ لخالق هذا الجمال من ابتسامة مشرقة؛ أو جسد ممشوق أو عين فاتنة؛ أو حتى رنة ضحكة تظهر الأنثي الطاغية بالداخل، تنبش عن النفس الحقيقية بداخلهن، عن حقيقتهن وهن عرايا أمامها فى عالم البوح الجسدى. يأتي إلى هذا المكان يوميآ عشرات ممن يرغبن فى النظافة الجسدية والتزين بروسومات الحنه على الجسد، وفي من تأتى بأنتظام كل أسبوع حتى حفظتهم بطه، تأتى من هى الحسناء ومن هى أستعراضيه والجامده والدلوعه والمنحرفه والمومس والمعلمه، ومن تأتى لأول مرة وآخر مرة لأنها عروسة جديدة، ومن تأتى لتتجرأ على خجلها وسط العرايا؛ ومن أول نظرة تعرفهن بطه أول مايدخلن الحمام متمسكين بالحقيبة أمام جسدهن؛ وكأنهم يختبئون من الخجل ويحفظن أجسادهن من الرذيلة، وعيناهم تذهب مع كل عارية تمر أمامهن بتعجب وخجل، لتضحك بطه داخلها وهى تتمنى أن يأتي كل يوم من أمثالهن حتى تضحك وتهدم جسر الشقاء داخلها، لأنها لم تبغ

يومآ هذه المهنة، هى كانت ترى فى نفسها كاتبة عظيمة، ممتلئ عقلها بالأفكار الجديدة والكلمات المسجونة وتريد الخروج حتى تبتسم للعالم بحرية. هى تمتلك روح تمجد الجمال الربانى حتى لو كانت داخل وجه قبيح أو جسد ضخم، ولكنها لم تستسلم لواقعها أبدآ؛ لأنها قررت أن تصدر بالفعل كتاب يحمل خبرتها ومذكراتها فى هذا المكان؛ وكأنها وزير رأى ما لم تراه عين يومآ داخل قصر الرئاسة، لذلك بدأت بجمع البقشيش بكثرة والحفاظ على نقودها، حتى أنها قد أعتمدت على المدخنات فى أستنشاق السجائر لتوفر ثمن علبة السجائر لمصاريف كتابها الأول، لأنها كاتبة مغمورة تحتاج إلى الكثير من المال لتظهر مكانتها فى عالم الكُتاب فى بلد يرفع يده بالتعظيم للسارق والنصاب ويفتح له أبواب خزائن البنوك ليحمل منها مايستطيع ويفر هاربً أمام مرأى الجميع، أما الكاتب صاحب القلم المضئ بالمعرفة والعلم لم يجد أمامه إلا اليد التى تغلق أمام علمه ومعرفته باب الظهور؛ حتى يخرج من جيبه كل ما استطاع لينجح فى صعود سلم النجاح فى الإبداع.

* * *

الحسناء

أشرقت شمس الجمال الحقيقى فى عين بطه عندما دخلت الحسناء المكان بروحها العفوية وخطوتها المدروسة فى الموعد المحدد لها كل أسبوع، وتسلم على بطه بصدر رحب وتقبل خديها بابتسامة رقيقة، لتستنشق بطه رحيق عطرها وتحتفظ به داخل صدرها، وهى تغلق عيناها عندما تلامس شفايف الحسناء خديها بابتسامة، وتذهب الحسناء إلى مكانها المعتاد؛ وتضع ساق على الأخرى وتنظر إلى الجميع، وتنتظر إشارة بطه لها بأن المغطس (الجاكوزى) أصبح شبه خالٍ من الرواد، لأن الحسناء تفضل الهدوء والاستمتاع بالمياه الساخنة بسكون، ولا يخفى على أحد أن جميع النساء والفتيات تفتعلن الأحاديث والثرثرة الساخرة ؛عندما يجتمعن معاً حتى لو كانوا غرباء عن بعض، ولكنهم مشتركين جميعآ فى الثرثرة وبالأخص عن الأزواج والجنس والمفاتن والضجيج بالضحك المفتعل العالى، والحسناء لا تجد فى الثرثرة متعة إلا أنها تصيبها بالصداع، لذلك تأتى وتجلس بصمت مكتفية بابتسامة شفافة للجميع. جالسة الحسناء أمام مرمى نظر بطه تنظر إليها وتتأمل جمالها الهادئ وسكون روحها، تشتهى

سكونها وخجلها عندما يداعبها زوجها فى هاتفها المحمول لتستكشف بطه كلمات زوجها، بأنه يداعب جسدها وأنه ينتظر بفارغ الصبر أن يقبل كل سنتيمتر من هذا الجسد بعدما يخرج منه غبار الهواء الملوث بيد بطه، هذه الساحرة التى تنامين أمامها وهى تمحى أتربة التعب من عليه وترى كل زواياه وأركانه، مستسلمة لها وهى تمشط أطرافك كالبستانى يحرث التربة ليخرج منها الطالح والفاسد ليبقى الصالح والشهى والمثير لى أنا بعدما تعطرك بمياه سحرها، لتأتى إلي بيضاء كالسماء أصارع الغلاف لأصل إليها وأنام داخلها وأقبل نجمها الساطع بين نهرى الفرات، ورغم غيرتى منها عليكى إلا أننى أراها ساحرة تخرج منك ما لا أراه كل مرة، لذلك أتشوق إلى رؤيتك كل مرة تذهبين فيها إليها؛ وأنا أرتدى زى الفرسان منتظر أن أطعم هذه الفرسه بحبات السكر، ولكن لا تثأمى منى إذا أخذت من نداكى حبات السكر لأنى أمامك أشعر بالعجز. تتخيل بطه هذه الكلمات من زوج الحسناء، والحسناء تبتسم خجلاً أمام بطه وكأنها هى من تداعب مشاعرها بهذه الكلمات.

* * *

الدلوعه

تطلق الدلوعه ضحكة رنانة من الاستراحة الأخرى وهى جالسة عارية بفخر، لا يستر مفاتنها إلا مايوه بكينى أخضر اللون، تتباهى الدلوعه بمفاتنها وتناسق جسدها أمام الجميع بطريقة غير مباشرة، وكأنها تراهم رجال أكثر رمال العذوبية من ظمأ اشتياقهم إلى رؤية جسد فتاة عارى، وهى تمتلك جسد عارى ناعم يذهب إلى انسياب قطعة قماش حرير إلى البمبى، تثير بالفعل لعاب كل من رأى قطعة صغيرة من كعب قدميها، لأنها خارج الحمام وأمام الجميع رمز الالتزام، ترتدي الحجاب وخطوتها خطوة أنثى ملتزمة، ولكنها وسط الحريم أو مع زوجها أكثر ما تكون غزية؛ تغزل الدلال من شفايفها كلمات ماسية تطفو معها نظرات عيون خليعة، ورغم أنها تعى تماماً إمكانياتها وقدرتها فى إثارة من تهواه عيناها إلا أن زوجها غير سعيد معها، لذلك تحاول جاهدةً أن تثبت لنفسها ولمن حولها أنها أنثى كاملة الأنوثة، وأن السبب الحقيقى خلف عدم رضا زوجها هو عدم كفاءته. ولأن بطه خبيرة فى النساء وتعلم تماماً كيف تقرأ أفكارهن من أعينهن، وتعرف أسرارهن من تحركاتهن. كانت متأكده من شعور الدلوعه بالنقص

رغم وجود كل هذه المقاومات، لذلك كانت تحاول أن تقترب منها وتجعل بينها وبين الدلوعه وداً وحباً حتى تكتسب ثقتها وتعلم سبب مشكلتها الحقيقية لعلها تستطيع أن تساعدها فى حلها، ولكن الدلوعه كانت تتهرب من بطه كلما حاولت أن تتخطى حدود الحديث معها. واليوم قد زاد وهج بهجتك وتعالت ضحكاتك إلى السحاب وداخلك نبرة حزن وحسره لن يراهم غيرى، لأنى صنفتك داخلى الدلوعه وأنت لست سعيدة بزواجك، وأنت من اخترتيه دون غيره من شباب الحى أجمع، وكانت تجمع بينكم قصة حب فاقت قصص الرومانسية. لماذا لست سعيدة أيتها الدلوعه بعد سنين من زواجك بمن أحببتى؟ لمن تحاولين أن تثبتى أنك أنثى كاملة يبغاها كل من سمع رنة ضحكتها؛ أو رأى خلخالها الذهبى يزين كعب غزال أحمر يلهث خلفه كل محب السكنة داخل محراب أمرأة تسقيه من شفايفها خمر خجل مزخرف بالدلع كلما أقترب منها، حتى جسدك لم يمسه غبار الزمن فى تعب وارهاق مسؤولية بيت وتغيرات بيولوجية بعد الزواج، كما نعلم أن جسد الفتاه يتغير بعض الشئ بعد الزواج والسبب الأول هو الجنس، وأنا إذا أخذت مكان زوجك ولو ليوم واحد أجدنى أمارس الجنس معك كلما رأيتك وأنت فى المطبخ، تعدى لى الغداء وصوتك يعلو لأنى لم أساعدك؛ وأدخل عليك أؤنبك.. تزعلى..

أصالحك.. تدلعى.. أضمك لصدرى.. تبتعدى.. أشدك وعلى أرضية المطبخ تكتمل الحكاية حتى يحترق الأكل، وأنتى تنهضى مسرعة لقد احترق وتعاقبينى بأن أشترى أكل لنا وأنا ألبى طلبك لأنى السبب، وأنزل إلى الشارع وعينى لا ترى إلا جزع رقبتك وأنا أقبله بحنان؛ وكأنى أشرب الخمر رشفة رشفة لأتذوقها وأنعم بها، وأرجع إليك مسرعاً وكل من رآنى حسدنى عليك لأنى الرجل الوحيد الذى يقضى يوم أجازته بالكامل فى المنزل مع زوجته، وآه منك عندما أبحث عنك فى الشقة بعد رجوعى؛ لتجيبينى بأنك فى الحمامِ وسيول الدش الدافئ تنهار على جسدك تهدئة ويزيدنى أشتعالاً.. ياإلاهى لم أتحمل أكثر من ذلك.. أدخل عليك وأقف أمامك أتأملك وجسدك عارى دون خدوش، وبصوتك الرنان تسألينى عن سبب وقوفى هكذا، ويجيبك لسانى وقد تجردت من ملابسى؛ وهربت منى يدى على جسدك تعد حبات المطر وترسلها إلى جوفى لترويه، لتكتمل الحكاية تحت مطر الحمام الدافئ، وبعد الانتهاء تتركينى لأكمل تنظيف جسدى، تجهزى الغداء الذى أصبح عشاء بسبب مداعبتنا سويآ؛ لأخرج أجدك بالقميص الأحمر أنظر إليك بخبث تجاوبينى بدلال إنك لم تشبعى منى بعد لأنى أصبح متعب طيلة أيام الأسبوع وبعيد عنك حتى لو كنت بجوارك على السرير، وبعد العشاء أعلن أستسلامى أمام التلفاز

وأنت بكل حب تحضرى البيره والفاكهة، وتعلو موسيقى الرقص وتظهرى ببدلة الرقص الجديدة.. ترقصى.. يميل خصلك.. تثير شهوتى.. أقترب منك.. تبتعدى عنى.. أقبل خدك.. تقدمى لى قدمك.. أركع أمامك.. تسجدى لى وعلى الأريكة تكتمل الحكاية، لآخر الليل وحتى الفجر نظل فى شد وفرٌ حتى نهلك ونستسلم للنعاس.

وتستفيق بطه من حلمها مع الدلوعه على صوتها الرنان

الدلوعه: ما تخلصى يابطه عايزه أمشى.

بطه: أنتى لسه جايه.. خوشى أقعدى فى المغطس شويه لغاية ما أندهلك.

الدلوعه: والله شكلك كده عيزانى أبوش

وتتجه الدلوعه إلى المغطس؛ وخلفها الحسناء بعدما أعطتها بطه الإشاره بأنه شبه خالى.

* * *

المنحرفة

فى الوقت الذى تدخل فيه الحسناء المغطس تخرج منه المنحرفه لتستنشق هواء منعش بعدما خنق صدرها بخار المياه الساخنه. وهى فى طريقها إلى مكانها فى الاستراحة الخاصة بها، تقبل بطه فى خدها بدلع.

المنحرفه: أحبك يابطوط.

بطه: يابت اتلمى.

المنحرفه: بحبك.. الله.

بطه: طب أقعدى يالا.

تذهب المنحرفه وتجلس على الكرسي الخاص، وبطه يظهر عليها الضيق لأنها تعلم بأنها فتاة غير محترمة، وبالأخص بعدما علمت منها أنها فى بعض الأحيان تقيم علاقات جنسية مع بنات مثلها، وبطه قد شعرت فى هذه المرة التى حدثتها فيها المنحرفه عن انحرافها الجنسى، إنها تدعوها إلى إقامة علاقة جنسية معها بطريقة غير مباشرة، ولكن بطه ولأنها محترمة ذاتياً وتشبع غريزتها بالإشباع الذاتى، لأنها بشر وداخلها غريزة الجنس تلتهب من وقت لآخر، رفضت عرض المنحرفه بصورة نهائية

وبطريقة غير مباشرة أيضآ، لذلك ظهر عليها الضيق عندما قبلتها المنحرفه.

المنحرفه جلست فى مكانها وأشعلت سيجارة بعدما روت عطشها بعبوة عصير.

***

الاستعراضيه

أمام المنحرفه جلست الاستعراضيه، فتاة جمالها الهادئ جعلها فى أوائل الثلاثينات، جسد متناسق لا يقاوم ولونها الخمرى؛ وعين بنية اللون ممتلئة براءة وحياة وخجل مريب من فتاة تعمل فى مجال كثيراً ما أُطلق عليه الأشاعات المخلة بالآداب، ولكنها أستعراضيه فى فرقة كبيرة ذو شهرة عالمية؛ ولها مكانتها فى مجال الفولكلور والأغانى الشعبية القديمة التى كنا دائمآ نستمتع بها على نغمات دم الغزال وعلى الرمله؛ وأغانى كثيرة كانت تشعرنا بالحيوية والحب الجميل من صوت محمد رشدي، هذا المطرب القوى. يا إلاهى كم كانت ممتعة هذه الأيام، عندما كنا صبايا كالزهور الربيعية، رقصت وأهتز خاصرى وأنا حافية القدمين والخلخال يدندن معى على أنغام هذه الأغنية ؛والمياه تحولت إلى أفراح مضيئة تحت قدمى كلما أهتز خصلى ودندن خلخالى ومياه الحمام تتسابق لتستقبل أول قبلة من قدمى على الأرض.. أيام لم تعد ولن تعد عندما كان ما هو مهم أن نتسابق على إظهار السعادة والمرح من داخل قلوبنا.

تدندن الاستعراضيه مع أغاني السى دى العالى وهو بجوارها.

تنظر المنحرفه لها بشراهة وتطلب منها أن ترقص ليفرح الجميع، كانت الاستعراضيه مثلها مثل الجميع ترتدي البكينى، وبالفعل أستجابت الاستعراضيه لطلب المنحرفه ووقفت مكانها ترقص رقص استعراضى يدل على أنها بالفعل فنانة وليست منحرفه مثل الأخرى، أما المنحرفه لم يعجبها رقصها لأنه خالى من الأثارة، رغم أن جسد الاستعراضيه كان مثير بما فيه الكفاية، لذلك وقفت المنحرفه ترقص معها أمام مرأى الجميع، وتثيرها بحركات بريئة وتتحسس جسدها بشهوة، ومن قد يشك فى سيدة ترقص مع مثلها وتلمس جسد سيدة مثلها غير بطه؟ لأنها تعرفها حق معرفة.

تزداد البهجة على وجه الجميع وتزداد النشوة داخل المنحرفه أكثر.. تتحسسها.. تستلذ نشوتها.. تقترب يدها من مؤخرتها.. تزيد الشهوة داخلها.. تلمس ثدييها بحب مستلذ وهزار ستات حتى وصلت متعتها إلى باب الخروج، كل هذا يحدث وبطه تنظر إلى انحراف المنحرفه حتى انسحبت؛ واتجهت إلى باب التواليت وأغلقت الباب خلفها مسرعة لتفتح بابها الخاص لخروج متعتها.

كانت بطه تكيس إحدى السيدات أمامها وعيناها على باب التواليت تعد الثوانى التى تستغرقها المنحرفه لخروج متعتها، وبعد دقيقة و٤٥ ثانيه تخرج المنحرفه من التواليت لتجد بطه تنظر إليها بخيبة أمل، ولكن المنحرفه تجاهلت نظرة بطه لها

بنظرة انتصار، وبطه تنبه المنحرفه وهى تمر بجوارها متجهة إلى مقعدها بأن تضع لهذه التصرفات المشينه حد حتى لا تضر بسبب هذه التصرفات.

الاستعراضية كانت قد كفت عن الرقص وجلست بعد ذهاب المنحرفه، تبحث الاستعراضية عن علبة السجائر الخاصة بها وفي يدها الولاعه، المنحرفه تلاحظ وهى قادمة أن الاستعراضيه تبحث عن شئ..

المنحرفه: أنت بتدورى على سجايرك؟

الاستعراضيه: أيوه.. بس الظاهر كده أن المعلمه أخدتها معاها

المنحرفه: مين المعلمه دى؟

الاستعراضيه: دى واحده معرفه متعودين نيجى سوا هنا

المنحرفه: النضافه حلوه برضو

ويضحكوا سوياً وهم جالسين بجوار بعض؛ والمنحرفه تقدم للاستعراضيه سيجارة، وتشعر بطه أن المنحرفه تحاول أن تصطاد الاستعراضيه، وهذا لا تقبله أخلاقها لذلك ذهبت إليهم، أخذت من علبة سجائر المنحرفه سيجارة وطلبت من الاستعراضيه أن تذهب إلى المغطس وتجلس فيه حتى يحين دورها؛ وهى تنظر إلى المنحرفه نظرة «أنا أمامك بالمرصاد» ولأن المنحرفه منحرفة وتفهم جيداً لغة العيون ضحكت ضحكه خليعة ولكنها مصطنعة.

المنحرفه: والله أنتي فهمانى غلط.

تبتسم بطه لها وهى تخرج من فمها دخانها الأزرق، وتتجه إلى البست تطلق عليه بعض المياه لتزيل أثر نظافة السابقة لتلحق بها التالية؛ وهى تنظر إلى الاستراحه الأخرى.

* * *

المومس

موائد وكراسى بلاستيكية مشوهة من كثرة استخدامها منذ سنين، مثل الجالسين عليها. وملابس معلقة وحقائب مزدحمة ومشروبات ترطب لهب الحياة المشتعلة داخل الحمام.

هناك.. هذا القريب من الجميع تختبئ المومس من الجميع لتنفرد بنفسها، دون أن يراها أحد رغم مرورها فى أعينهم مراراً وتكراراً، وكأنها ضمن محتويات الاستراحة الواسعة، ولكنى رأيتها من ضمن من أتوا ليغتسلوا هنا من هموم وجع الأيام الخارجية. كانت المومس جالسة فى صمت غريب، شاردة الذهن، تستنشق السيجارة فى ثبات وعيناها فى الأرض ويدها تتحسس ثدييها.. هاتين التفاحتين كاملتا النضج فى يوم ما، وتنهار يدها بالتدريج على أنحاء جسدها كالشلال البارد يصب فى نهر ملتهب من جمر البركان الشهوانى المنصب داخلها والحسرة ضيفة على وجهها، تحاول إثارة الدمعة من عيناها لتعصى أمرها، وتنزل تعلن عن حزنها على جسدها الذى تحول الى طقطوقة سجائر، ولكن تحسسها على ظهرها يدل على شئ أعظم من ذلك ! تتساءل يدها عن سبب هذا العذاب المقيم على ظهرها وفي عيناها؛ وهى

تتصنع دخول دخان السيجارة فيهم؛ لتفيض الحسرة منهم وتغلق سيل هذا الحزن من دمعها الفائض. تتحسس ظهرها ويدى على البست أمحو منه غبار الأيام السيئة الماضية ليصلح للقادم؛ وهو يقيم عليه مستسلم مسالم غارق فى بحر الذكريات، كل من فرشت جسدها على هذا البست بداخلها وهج من الذكريات يحتاج إلى النظافة مثل جسدها تماماً، وكأنه جسد متجسد داخل جسدها.. يمرض ويطيب ويكبر وبعده يتجه إلى قبر الذكريات كالميت، ولكنه عايش فى مكانٍ ما هناك، فى مكان مظلم لا يقل قيمة عن القبر الجسدى، نذهب إلى الأموات نبكى على فراقهم ونسترجع معهم الذكرى الملقاه هناك فى المكان المظلم؛ لنستدعيها تمرح داخلنا بعض الوقت ثم تذهب إلى غروب المكان؛ هروباً من زحام الحياة داخل عقل هذا الجسد المثير.

* * *

المعلمة

وسط الزحام والضجيج تظهر المعلمه عند باب الدخول ملفوف القطن المصرى الأصيل على جسد لم يكن إلا لسيدة ذاب رجال أقوياء أعلاه؛ كحبات السكر داخل كأس بالخمر ممتلئ.. يفور.. يثور.. والخمر يزداد وهج ويفيض ولكنه كما هو ممتلئ بالحياة، تدل لفة البشكير على جسدها بأنها عارية بالكامل، إذا سقط البشكير سقط الحياء وتحررت العذوبية إلى الخارج تكون كأول يوم خرجت فيه إلى الدنيا من رحم أمها.

تذهب إلى الاستعراضيه وحمرة الحلاوه جعلتها تتلوى من شدة الوهج.. تجلس المعلمه مع الاستعراضيه وأنا أنظر إليها وهى تظهر يدها وساقيها ومابينهما بجرأة معتادة لتظهر نظافة الحلاوه بنزع الشعر الزائد.. ياربى على هذه الكائنات التى لا تشبع من غذاء المتعة والنشوة الساكنة الوجود داخلهم؛ ومتهمات بالبرود والركود والموت على الفراش.

المعلمه مثل حى للأنثى الحقيقية المولودة من رحم آلهة الأخصاب، نشوتها طبيعية كما كانت قبل ظهور بدعة الختان التى اغتيلت الأنوثة والشعور باللذة، وهى أيضا من أثبتت أن

الرجال غير قوامون عليها لأنهم من أستسلموا من ضآلة إمكانياتهم وضعفت قوتهم أمامها، لأنها لا تقاوم ولا تشبع غريزتها، بالفعل إذا ظلت الأنثي كما خلقت دون بتر مصدر لذتها لأصبحت مثال للقوة، وأصبحت الولاية فى يدها هى لأنها من تمتلك القوة فى ضعفها ونشوتها فى غريزتها لا حصر لها.

***

غرفة الحفافه

كثرت الآهات فى الغرفة المغلقه خارج الحمام الساكن، هناك يوجد مكان للراحة، أنتريه وصالونات ممتلئة بالسيدات من جميع الطبقات، من تجلس وفي يدها ناى الشيشه وبجوارها الأخرى تحدثها وهى تستعرض مقومات جسدها شبه العارى، ومن هن جالسات ينتقدن من تدخن الشيشه ويستحقرونها، ومن بينهم البنات حديثى القدوم إلى هذا المكان يجلسن فى أنبهار لما يحدث، ينظرن إلى السيدات وهم شبه عرايا يدخن الشيشه والسجائر؛ والخجل يشعرهن بالضعف وحماس الشباب وهو باب الاستعداد لقبول أى انحراف من منطلق التجربة يفتح على مصراعيه.

الجميع يجلس لأى سبب، من تجلس منتظره دورها فى الكوافير الموجود أعلى الساحة بدرجتين لا أكثر، وهو مغلف بالزجاج الشفاف يظهر منه كل شئ، ولما التخفى ونحن جميعاً سيدات وبنات؟!. الكوافيره تنظف وجه السيدة وهى ترتدي الشورت اللاميه والبادى الكارينى، والسيدة بالسونتيانه والأندر؛ تنظر إلى جسدها فى المرآه تتأمل مقوماته وتنتقد عيوبه، وتتساءل لماذا يهمل زوجها هذا الكم الهائل من أنوثتها الظاهرة.

الحقيقة أن الرجل مهما وصلت به الخبرة والقوة فهو ضعيف أمام جسد المرأه، لا يهتم بتناسق جسدها إذا حاولت فقط إغراءه؛ ولكنه دائماً يكابر لأنه أضعف من ذلك بكثير، كثيراً نرى الشباب يقيموا علاقات مع بنات جميلات، ويتباهى الشاب بعلاقته مع هذه الفتاة الجميلة؛ ولكنه أول ما فتاة أخرى تحاول إغراءه يعلن استسلامه من أول لمسة حتى لو كانت أرجل منه فى العضلات أو الملامح لأنها بالنهاية أثنى.

بجوار غرفة الكوافير تعلو أصوات الآهات من غرفة الحفافه، وهى غرفة مغلقة كلياً لأن حتى الآن السيدات يخجلن من أظهار الشعر الزائد أمام أحد وبالأخص فى الأماكن الحساسة، لأن ذلك إعلان عن عدم الاهتمام بمقدساتهن؛ لأن هذا المكان بالأخص هو المكان المقدس عند الرجل، فى هذا المكان فقط يسجد أمامه ويقدم قربانه ويسلم ذاته وهو عبد له، وبالطبع هنا يظهر غباء الرجل الشديد لأنه إذا كان يعلم طبيعة المرأة كان قد أدرك مفهوم الجنس الصحيح، وأن كل جزء ولو كان صغيراً من جسدها هو مصدر لذته وسبب متعته، ولكن غباءه يعوقه عن فهم هذه الحقيقة، بأن الله خلق المتعة داخل الرجل والمرأة ولكنه أعطى مفتاح المتعة للمرأة، لذلك هى دائماً تتحكم فيه ولكن أين من تعلم هذه الحقيقة؟، جميعهن يذهبن ويخضعن للرجل والحقيقة أن الرجل عبد عند

جسد المرأة. داخل الغرفة المغلقة تنكشف عورة المرأة بعيوبها تماماً والشعر الزائد؛ وتفتحات البسمات وكأنها حبات ندى حبيسة أوراق الشجر والفجر أعطاها الفرصة لتخرج من سجنها البلورى، فى هذه الغرفة بالأخص ترفع لافتة ممنوع الخجل والدلال على أحد أو من أحد؛ لأنها بلا رجل أو عضو ذكرى ينتصب على آهات الوجع من نزع الشعر فى الأماكن الحساسة، الجميع عرايا بالكامل جالسين أمام سيدة الحلاوه «الحفافه»، هى من تنزع شعر الإبط أو الفرج وما أكثر هذا الألم التى تتعرض له المرأة حين تنزع شعر الفرج، لتظهر نضج أنوثتها وتشعر برضا النفس كونها أصبحت نظيفة، وهى فى الحقيقة تحاول أن ترضى الرجل لأنها على دراية تامة بأن هذا الجزء هو ما يهم الرجل ويهتم به؛ وله يسجد على ركبتيه ليتوضأ بمياهه ويقدم له الولاء والطاعة لأنه مصدر متعته ولذته. وأنا هناك جالسة فى ركن بعيد فى الغرفة أراقب الجميع وأشاهدهم وهن يتألمن ويضحكن، والحفافه تنزع الشعر بالكامل حتى ظهر هو كالوردة البلدى وسط النهر، على سطح المياه تبعثر أوراقها الحمراء وتلقى بذاتها، تستلقى على ظهره لتستريح من إرهاق يومم شاق ملئ بالتعب والإهمال، تغلق عيناها فى راحة جميلة وتبتسم شفتاها لتستقبل حبيب هذا الجمال السائل بين جبال الكون الذهبى، وما أجمل الذهب السائل وهو يحيط بركان

يفيض جمر نار كلما زاد كلما شعر النهر بالوهج، وكلما زاد الوهج زادت اللوعة والرغبة فى الانتحار داخل هذا البركان الملتهب جمالآ وبريقآ وقوة. هكذا رأيت أنا هذه السيدة وهى ملقاة على ظهرها عارية؛ بعدما أنهت الحفافه دورها وأصبحت السيدة كالكريستال كلما هدأت كلما زادت بريقآ، وأخرجنى من هذا التأمل سؤال الحفافه لها..

الحفافه: وهو بقى يقدر التعب دا؟

هى: دا ابن وسخه ولا يهمه حاجه غير أنه يكون كده وبس.

وتصدر ضحكه هزت أركان الغرفة والمكان بأكمله وكأنها رنة خلخال خلخلت أساس الرجل إذا رنت فى أذنه هكذا، وكأن من صدرت منها هذه الضحكة الرنانة لا تأبى للرجل حتى لو كان؛ لأنها متمكنة من أدواتها الخارقة فى نزع أياً كان من يقف أمامها، وكانت فى الغرفة فتاة يظهر الخجل والاندهاش على وجهها رغماً عنها، لأنها مازالت بنت بنوت على أبواب الحياة الزوجية تنظر إلى الجميع؛ وكأنها تكتشف ولأول مرة عالم النساء، وكلما اقتربت الحفافه منها لتنزع شعر البئر المغلق تبتعد عنها حتى ضاقت كل السبل أمام الحفافه بعدما نزعت الشعر من جميع أجزاء جسدها، ولم تجد أمامها سبيل إلا أنها تعصبت عليها وأخذتها بالقوة، وقد هددتها بالضرب إذا أصدرت صوت، والبنت استسلمت إلى إمساك

يد الحفافه لفخذيها وهى تفتحهما على آخرهما، ولم تجد الفتاة إلا البكاء فى صمت حتى لا تصدر صوت، وأنا أنظر إليها وأتساءل عن سبب هذا البكاء.. إذا كان من الألم – وهذا طبيعى – أم من شدة خجلها وهى فتاة بحكم تربيتها فى بيت بسيط فى المادة والعلم والثقافة تحت مسمى الأسرة المحافظة، أنشأت على أن جسدها هذا عورة لا يجب أن يراه أحد حتى لو كانت الأم أو الشقيقة، حتى تصبح فتاة مؤدبة ذو أخلاق، وقد ترعرعت على هذه الثقافة حتى أنها إلى الآن لا تفتح ساقيها أبدآ حتى لا يظهر الفرج ولو كانت ترتدي البنطلون.. يا لهذا السخف فى مثل هذه التربية، فتاة تُولد وتنشأ وتكبر على أن لا يجب أن يظهر جسدها لأنه ليس ملكها ! وممنوعة حتى من ملامسة أماكن جسدها لتكتشفه أو تعرفه؛ وفجأه تجد نفسها عارية أمام رجل من حقه أن يتلمس جسدها ويستمتع به، وقبل الزفاف تجد والدتها وشقيقتها تخبراها بأن من أهم متطلباتها كزوجة أن ترتدي جميع الملابس المثيرة لتشبع زوجها وتكون مصدر متعته.. كما قيلت من قبل هذا سخف ما بعده سخف.

تغلق الفتاة عيناها خجلاً وكأنه إعلان عن رفض قبول هذا الواقع المرير بأنها عارية ولأول مره أمام أحد حتى لو كانت سيدة مثلها، تتحسس جسدها وتنظر إلى أماكن هى ذاتها كانت محرومة حتى

من النظر إليها، ولكن الحفافه لم تقدر بعد خجل الفتاة وسألتها..

الحفافه: بتغمضى عينك؟ أومال لما تبقى تحتيه هتعملى أيه؟

ويضحكن النساء معاً ضحكات ممتلئة أنوثة، والسيدة صاحبت الوردة الحمراء تجيب على الحفافه..

السيدة: ياختى بكره تعرف كل حاجه وتجيلك وهى فتحاه بنفسها.

وتتعالى الضحكات من سيدات الخبرة مع آهات الفتاة من الوجع وعيناها مغلقة على ذاتها؛ ترى نفسها عندما فتح بئر أنوثتها ونزل منه أول قطرتين دم إعلان عن بلوغها، فى هذه اللحظة لم تشعر إلا بالرعب يقتحم خلوتها الطفولية، واختبأت فى الحمام لأكثر من ساعة حتى لاحظت والدتها غيابها، وعندما أجبرت أن تخرج كان خروجها كالفتاة المغتصبة، عيناها تزرف الدموع كالسيول ووجهها يكسوه الانكسار والهزيمة، مطبوع على ملابسها وسام النضج وراية الأنوثة بدأت تعلو، ولكنها لم تع بعد معنى كل هذا وقد أحتضنتها والدتها وقدمت لها شعور الأمان كمنحة تحتفظ بها حتى تستطيع أن تحافظ على نفسها، مع التحذير المميت من الاقتراب من أى ذكر كان أو السماح لأي كان من الاقتراب منها، وقد أرشدتها على وسائل الاستخدام والإرشادات للحفاظ على نظافتها، ومن أهم هذه الإرشادات أنها لا تجعل أحد

يشعر بها عندما تأتى إليها هذه الضيفة الشهرية، والآن مطلوب منها أن تتعرى تماماً وكلياً أمام رجل غريب يطلق عليه الجميع زوجها، حتى أيام الدورة الشهرية يجب أن يعلم حين تأتى وتنتهي.

كنت أرى نفسى فى كل واحدة منهم، وكأنى كلآ منهم نبذة صغيرة عن حياتى لأنى بالفعل مررت بكل هذه الحالات فى حياتى، أنا فى مرحلة كنت بنت وكنت فى مرحلة أخرى جامده ومعلمه ومومس ومنحرفه ودلوعه وحسناء واستعراضيه، كنت ومازالت الحفافه، وأنا من قاتلت العفن والوساخة على أجساد النساء حتى أعلنت انتصارى برفع راية النظافة، أنا الفتاة الخجولة؛ والمنحرفه فى الأخلاق؛ وحسناء فى البستان التى أخذت من حسنها سبب شقاء الأسود، وأنا من درست الدلع والدلال فى مدرسة الرغبة والمتعة، وأنا المومس التى تاجرت بجسدها لتظهر عيوب الجنس الآخر وتكون مسكنهم، وأنا الاستعراضيه التى تلاعبت بأوتار الشجن وتراقصت داخل عيون المشتاقين، وأنا المعلمه التى تاجرت بالفاكهة والخضار فى سوق الجياع وبدلت أنوثتها بالذكورة لتثبت وجودها فى ساحة الرجال كنت فى زى همام.. أنا المرأة المغتربة فى عالم الرجال رغم وجودى بثبات.

الجميع عرايا بإرادتهن وتباهى غير ملحوظ بكل ماتحمله

الكلمة رغم وجود داخل كل منهن المرأة الخجولة المولودة فى الحى الشرقى رغم رقى المكان، حتى تسرب هذا الخجل إلى قاع الذكريات بعد دخول كلٌ منهن عش الزوجية، هنا تتفتح أعين القطط المغمضة ويعرفن ما كان سر عليهن ومخفى، وتتفتح معهن أنوثتهن الحقيقية فى تآويل الآهات الليلية والضحكات الرنانة حتى لو كانت مصطنعة لأنهن لم يتعلمن من قبل كيف تكون الأنثي الحقيقية التى تتفنن فى الاحتواء والاحتفاظ بهذا المسمى رب المنزل أو رجل البيت؛ إلا بالدلال والمظهر الخلاب وملء البطون الفارغة والعيون الفارغة والقلب الفارغ؛ وكأن الرجل شئ فارغ كلياً والمطلوب من الأنثي أن تملأ هذا الفراغ بفن ومصابرة وطولة بال، وهن بالفعل كذلك ولكن هل رأى الرجل ولو فى لحظة خاطفة كم تعانى هذه المرأة حتى تملأ كل هذا الفراغ فى حياته؟ بالطبع لا لأنه بالطبيعة هو كائن مزواج نرجسى لا يرى إلا ذاته فحسب.

تذهب الفتاة (العروس) إلى بطه واللفافة على جسدها تخبئ هذا الكائن الصغير المحفور بين فخذيها، وتخبرها بطه بأنها تجلس فى المياه الساخنة قدر المستطاع، وهل يحتاج البركان الهائج إلى نار ليزيد وهجاً؟ ولكن كلمة بطه أمر لأنها المحترفة الوحيدة هنا، وهى فقط ما بيدها كل شئ فى هذا المستنقع الملئ بكل ما شهى وطاب من حريم على جميع الألوان والأحجام والعمر.

غرفة المغطس

تدخل العروس غرفة المغطس وتجلس على البلاط حتى تستريح قليلآ من وهج النار المشتعلة فى جسدها، وفي المغطس جلست كل من المنحرفه والحسناء والمومس فقط، والذكريات تتصارع إلى المقدمة لتجلس معهن، ينظرن إلى العروس وفي عين كل واحدة نظرة حسرة على الذى مر وفات دون أن ينتبهن أنه رحل، حسرة ومرار على أيام مرت دون الشعور بها، حسرة ومرار على أيام ياريتها ماكنت جاءت ولا مرت بهن، حسرة ومرار على أيام يعشن فيها الآن رغمآ عنهن، حسرة ومرار على سنين لم يتبقى منها إلا رواسب اسم مسجل وجسد ملقى ونفس مهمشة وروح ضائعة، حسرة ومرار على أنثى حلمت بمملكة تتوج أعلى عرشها؛ وتمتلك صولجان الحياة الوردية ولكنها بالشوك ممتلئة وجرحتها بجميع الطرق.. ياإلهى كم تعذبت هذه الأنثي مسلوبة الإرادة، كم عانت وتعانى من وحدة قاتلة تحياها بمفردها داخل وجدانها المنهار.

تنظر المنحرفه إلى العروس بعين منكسرة من شدة معاناتها فى دنيا المظالم، تمنت أن تجلس مكانها.. مكان العروس المنتظرة فى كوشة مزينة وبالفستان الأبيض؛ بجوارها رجل مبتسم يحتوي

يدها بوعد إنها سوف تحيا أشهى الأيام والاستقرار بجوارى أنا الأمير النائم بجوارك على فراش العشق نستنشق الحب سوياً كؤوس أفراح ممتلئة خمر من شفتاكى.. ولكنى مخنثة، لا أنا فتاة كاملة الأنوثة ولا أنا رجل يحمل المتعة فى أعضائه الخفية، وُلدت هكذا وكبرت هكذا وأغلق عضوى الأنثوى بالكامل إلا فتحة المهبل لتموت النشوة والمتعة داخلى بالكامل، لا أنا رجل ولا أنا أنثى يابشر لم تتعلم بعد كيف تشعر بالآخرين.. بنا نحن البشر المجاورين لكم فى هذا الركن الكونى.

شلال من الدموع يتساقط حسرة على جزء لم تعد تشعر به ولن تشعر به، شعورها ككائن حى فى هذا العالم معترف به معلن الهوية.

كانت الحسناء تنظر إلى العروس بعين مبتسمة هادئة ولكنها نادمة على ماهى قادمة إليه.. تتوهمى ياعروس التعاسة أنك إلى الجنة ذاهبه؟ تتوهمى أنك إلى الحياة المشوقة والسعيدة ذاهبة؟ يا لكى من حمقاء لم يخلق العالم مثلها بعد، وتغلق عيناها على دمعة كادت أن تهرب من سجن حزنها، وتتذكر ما كانت تتمنى أن يعود إليها بعدما وقعت على أمر الاعتقال الأبدى فى كتاب الذكريات، ولكنه خرج إلى الساحة يمرح كالغزال ليزيدها حزن قاسى ومرار متكرر فى لسانها الذى أخذ من زمن بعيد دور العضو

الذكرى.. وهنا تعلنها غصباً عنها، تزوجت من رجل أخذ يرتشف من شهدى ما يشبع كتيبة من جيوش المشتاقين المحرومين دون أن ينتبه إلى شغفى أنا أيضا، يتركني كل يوم أعانى البرود وأنا مشتعلة.. تعانى من الشغف والحرمان وهي بالشهد تشبعه، حتى أنها وجدت من أشبعت رغبتها وعلمت الرجال فن الجنس والمعاملة الصحيحة مع من هن مصدر المتعة حتى أصبحت كالجثة الهامدة بين أحضانه، كل يوم تلقى بجسدها فى تابوت الشهوة تشبعه شهد مصطنع حتى تنهى هذه المعركة الخاسرة بسرعة لتستريح، ويذهب الليل معه ليشرق فجر جديد ووردة مزدهرة بالفراشات ممتلئة.. ومن أين أتى هذا البرود الذى تتهمنى به يا من صنع الأنانية لذاته عباءة يتزين بها على فراش الزوجية وكأنك أنت فقط من يمتلك روح النشوة وقوة الشهوة وحيوية الحياة الموحدة بين الجسدين؟.. جسدين أيها الأبله يتحدان حتى يصيروا واحداً.. نستمتع سوياً.. نشبع سوياً.. نصل إلى قمة الأورجازم سوياً، ولكنك تعمدت بغباءك أن أموت بين يديك وأفقد الحياة حتى تنهى هذا الصراع وبالنهاية تتهمنى بالبرود؟.. يا لك من أبله..تقدم إلي وشاهد كيف تعامل النساء وهن بين يديك.. انظر كيف أداعب الأنوثة الطاغية داخل هذه الفتاة.. كيف يكون الحب العملى.. وكيف يكون العشق الخيالى.. وكيف تكون المتعة التى

خلقها الله داخلنا.. داخلنا.. داخل كل رجل وكل أمرأة حتى يشعرون جميعآ بها أيها الأنانى، لم ولن يخلق الله المتعة بداخلك أنت فقط لتشبعها من جسد يتلوى كل دقيقة من لهفة الشغف، وأنت هناك تبحر فى المهجر وكأنه ملاذك الأخير، وكأنه مكان أنوثتى فقط، أيها الأحمق المرأة بأكملها متعة.. من شعر رأسها حتى أصابع قدميها.

كانت فى بادئ الأمر عليها الاعتراف لنفسها بأنها تكره الرجال جميعآ بسبب نشأتها فى أسرة ذكورية الفكر والمنهج والتعليم، لذلك كانت دائمآ تبتعد عنهم لأنها تراهم كائنات بغيضة دنيئة لا وذر عليهم فى شتى المجالات، حتى لو كانت تدعى ارتباطها برجل لترضى غرورها الأنثوى وتبتعد عن الشبهات، حتى زرعت ونبتت وترعرعت فى عينيها " الحسناء "، أنثى بها كل الصفات والمقومات تشتكى من غباء وأنانية الرجال، وهل للرجال عقل يفكرون به إلا الإير المحاصر بين الفخدين؟، القيا الاثنان فى لحظة غاب فيها الزمن وأعلن عن موته، اقتربوا من بعض، تبادلوا الآراء والمحادثات حتى شعرت البنت بأنها تعشق هذه السيدة الحسناء المشتعلة بوهج الحياة، الحسناء المشتعلة ايضآ قد أعلنت عشقها لجرأة الفتاة وقوتها فى جذبها إليها بحنان، وحبها لها كان بعيد عن الشهوات رغم أنها سيطرت عليهن بالفعل، مرة تلو

الأخرى أخذن يتبادلن القبلات واللمسات والهمسات دون الالتفاف إلى أى معوقات، وأى معوقات قد تقف أمامهم؟

ممارسة الجنس بين فتاة وسيدة سوف يضمن للفتاة الحفاظ على عذريتها !.. قطرتين الدم المحجوزة داخل مهبلها لضمان عفتها وشرفها، وكأن الشرف نقطة دم وليس كلمة تأخذ على عاتقنا تحمل المسؤولية والحفاظ على مكانتنا، وسوف تضمن إشباع رغبتها دون أنانية، وهى ذات الجسد المشتعل كانت مستجابة تماماً لقوة الفتاة فى ممارسة الجنس حتى تمكنت من الحسناء.. وهو واقف هناك منتظر ينظر إلى مشهد لم يراه يومآ ولن يراه أبدآ.

كانت الحسناء المشتعلة فى الغرفة والفتاة تنتظر فى صبر دام أكثر من نصف ساعة؛ متلهفه لرؤيتها واحتضانها وأشباع رغبتها لتشعر بوجودها غارقة فى نهر الحنان والدفء لا تبالى للزمن أهتمام، تنتظر وهى تداعب عشيقتها من خلف الباب، والحسناء من الداخل تصدر ضحكة يا إلهى على كم صفوف الإناث المدللات المجتمعات فى هذه الضحكة الرنانة؛ كهدير البحر حين يداعب أصابع قدمك لتشعر بالأنتعاش، وهى قد اشتعلت من الضحكة؛ وهو من عند الشباك يتلصص عليهن والبركان قد فتح فاه داخل جسده ليشتعل هو أيضا من هذه الضحكة؛ ولكن هل سيتحمل المزيد؟ لا أعتقد لأنه لم يتعلم بعد أن الأنثي لا يضاهيها شئ إلا أنثى مثلها.

الحسناء خرجت من الغرفة كعروس البحر..ممتلئة حياة بكل اللهجات والخلخال الذهبى يقبل كعبها الغزالي؛ والجلباب البلدى يضع جسدها فى إطار لا حياة بعد اليوم تحياها إلا داخل هذا الجسد.. آآخذها فى حضنى بعدما ابتسمت نشوة ورضا وعينى تذهب إليه، إلى هذا المتلصص على الحياة الحقيقية ليزداد غضبه غضب والحقد ملء عينيه ووجدانه، أخذت أقبل رقبتها وأنا أهمس لها بحبك؛ وهى تبتعد عنى بدلال أنثى لم يدرس بعد فى مناهج الجنس الذكوري، وأنا أجذبها إلى حضنى وأخذنا نتبادل العشق ونرتوى من ترياق الشقاء كالعشاق لا نرى إلا حقيقتنا ترتفع إلى أعلى بارتفاع الآهات، ولكنى كنت فى قمة الغباء ياعمر أحياه داخلك لحظات؛ لأنني لم أراكِ من قبل هذه الساعات، هكذا أنبت نفسى وحزنت أمام عيناها السوداء بعدما أتممنا الولادة الحقيقية على الأرض، ولأنها عشقت هذه الحياة ومصدرها وهو أنا؛ قررت أن تخرجنى من حزنى وقد كان؛ ياإله الحب لا تفارق هذا المساء من الآن وحتى الممات، أخرجت جسدها من حضنى ولكنها تركت وجدانها معى ومال خصلها على أرضية من السحاب كورد النهر لا جذور له إلا المياه، تعالت الموسيقى مع رنة الخلخال ورقص خصلها هزت جبال، وأنا جالسة تحت قدميها كحبات الرمل أتأملها باندهاش وأعجاب.. هل بالفعل أنت ملك لى وحدى؟ أنت

وحدك تستحق صناعة تمثال للعبادة والعفو عن غباء الأنانية الذى أقتحم وأحتل الرجال، يالغباءى وما الداعى للتفكير فى هذه الكائنات الآن، الآن أنا أملى عينى من غزال مابعده غزال، وهنا أبعث للبغيض كيد الغزال..

يامعشر الرجال أحببت امرأةً أحيا معها الليل نهار..

ممتلئة سمائى أفراح والأنوار تتلألأ على جسدى نجوم وأنهار..

أروى ظمأى منها بالإبحار..

لتغيب شمسى وكسوف قمرى يعلن العصيان..

لا تبالى ياحياة قلبى ومصدر فرحى من حقد الحاقدين..

ولا تذهبى إلى عيون الحاسدين..

لقد صنعت من ذاتى بخور أضعه فى جمرة النار لتحتمين..

ومن لمسات حبى أصنع لك تاجاً به تتزينين..

وعلى عرش وجدانى تجلسين.. تأمرين

إلى عيونى تذهبين ترشديهم إلى رب العالمين..

لأقدم له ولائى لأنه قدمك لى هدية وأنا كنت من الفاسقين

فى عشق النساء أنت ملكة اليسار واليمين.

هكذا كانت تتغنى شهواتى أعلى سجادة جسدها وأنا أسبح ألهة الحب وأقدم لهم القرابين من ندى عرقى البارز من جسدى ليطفئ جمر لوعتها، وهى تقدم لى فروض الطاعة والولاء أنا العبد

الفقير أمام ملكة الحياة داخل وجدانى جالسة على عرش كياني أعلى قدس الأقداس أقدم خطوتى بخشوع بين جبال الرمل المغلف بالزبد البلدى، وضعت بئر مياه الحياة الأبدية كلما أقتربت منه كلما بعد عنى.. كلما ارتويت منه كلما ظمأت رغبتى أكثر، هكذا كان اللقاء بين الحياة والموت ألقيت بذاتى فى هذا التابوت الذهبى حتى أعلنت عصيانى على الطبيعة والكون والجمال وكل شئ يعيد بناء هذا العالم خارج حدود هذه الأنثى لأنهم كائنات دنيئة، هم من يستغلون الأنثى لإشباع رغبتهم الشهوانية دون الالتفاف إليها هى كإنسان يشعر ويرغب ويستمتع، ولكنى ألقنتك أنت أيها الرجل الماثل أمامى تتلصص على حياتى الطبيعية من خارج نافذة الدنيا درساً لن تنساه يوم، وهو أن المرأة ليست سلعة تستهلك ولكنها مصدر المتعة الحقيقَى، إذا استطعت أن تشبعها متعة سوف تفيض عليك بأكثر أنواع المتعة وتتعلم معنى النشوة، ولكنى الآن أنظر أليك وهى تسبح كالسمكه الذهبية داخل حضنى تبحث عن الكمال وأنا هو.. أنظر إليك وعينى ممتلئة غرور لما استطعت الوصول إليه دونك، كلما زاد شعورك بالحقد على ماتوصلنا إليه دونك كلما زاد غرورى من بعدك، وكلما شعرت بالعجز أمامى كلما شعرت بالجبروت فى قربك وأنت ضعيف لا قيمه لك فى عالم النساء ولا قيمه لك من دون الأنثى، لذلك أذهب إلى خارج العالم أجلس

بجوار سور الكون أبكى حظك التعيس وضعف حياتك بعدنا نحن من نمتلك تاء التأنيث ونون النسوة، واتركنى أنعم بهذا الفردوس المخبأ داخل بستانى العارى من كل زيف وفساد!!.

يظهر الغيظ على وجه الحسناء وهى مغلقة العين داخل المياه الساخنة لتزيدها سخونة، ودون وعى تضرب المياه بقبضة يدها لتنتبه إليها المومس لتنقذها من الغرق داخل أيامها الماضية؛ حين كانت فتاة تلهو وتمرح داخل ربيع عمرها كالفراشة لا يوقفها شئ حتى الإعصار المدمر، كانت عنيدة فى قراراتها ومن أهمهم أنها لن تتزوج إلا من يعشقه قلبها، وهى كانت مبدعة فى الدلال والثقة والجمال الربانى الخالى من الألوان الصناعية، رغم أنها كانت خريجة فنون جميلة تعلم علم اليقين قيمة الألوان وكيفية استخدامها، كانت تزين الألواح البيضاء بأشهى الألوان المبهجة والرسومات المعبرة عن معنى الحياة بحرية، ولكن هل لهذا الفن مكان فى مجتمع نادر مايفتح كتاب إلا الكتب السماوية؟ بالطبع لا.. تبخرت أحلامها بأنها تصبح فنانة عظيمة يرفع علم بلادها فى جميع أنحاء العالم بفنها، وتنحنى أمام الجميع بتواضع والجميع ينحنى أمامها تقديراً لفنها.. ذهبت إلى هنا وهناك تبحث عن ملتقى لفنها ولكن دون جدوى فى بلد يقدس قارئ القرآن أكثر من الفنان، يقدس صاحب النفوس أكثر من العازف

على أوتار الشغف الوجدانى فى تذوق الفن، حتى التقت به.. شاب فى منتهى الاحترام جعلها تخطو خطوات مستقبلها على طريق مزين بالياسمين والحب، ولم تنتبه بأن الياسمين يذبل بالوقت والحب يذهب إلى المنفى عندما يقف بالمرصاد أمام شهوة المال والرغبة.. أخذنى إلى عالمه المتلألئ بنجوم السهرات الحمراء والخمر المعتق والرقصات الفاجرة، وأجبرنى أنا الفنانة على رسم طريق العشق المحرم فى حى المتعة الحرام، وسقطت فى بئر الزنا المحلل «تبادل الزوجات» يوم ثم أسبوع حتى أصبحت مدمنة المتعة المتنوعة، وأصبحت مومس بالشرع وأصبحت أنت قواد بالشرع أيضآ.

تنتبه إلى الحسناء ثم تنظر إلى العروس المنتظر متمنية لها حتى أقل القليل من الاستقرار مع رجل يحافظ عليها ويخبئها من أعين المتربثين لها وجسدها المتشوق إلى إشعاله بنيران المتعة.

الفتاة جالسة بجوارى على الأرض بجوار الحائط، تتساقط حبات العرق على جسدها برونزى اللون كحبات رملية ساخنة تعلن حريتها والسقوط منتحرة على ثدييها لتتذوق معنى الدفء الحقيقى، وهى مشتعلة من سخونة المكان وولعة عمل الحلاوه والتفكير فى أيامها القادمة، ونظرات الحذر الموجهة إليها من رادار أعين الجالسين بالمياه الساخنة، وأنا أضع يدى على كتفها

أتلمسه بحنان الأم وأمان الأب لتطمئن، لأن مستقبلها مختلف عن ماضيهم، لذلك اتجهت إليهم وجلست معهم فى المياه الساخنة ليختلط ماضيهم بمستقبلهم، وأنا أحذرهم ألا يصبوا هاجس ماضيهم فى قارورة مستقبلها.

الجميع مشغولون فى الحمام بين الإفطار والثرثرة عن البيت والزواج وأقاويل أهل الزوج.. ثرثرة الستات الظاهرية.. والدلوعه جالسة وسط الجميع والجميع حولها، أخذت من الثرثرة حصار لها للهروب من أصواتهم، وجلست مع نفسها تبحر داخل وجدانها عن سبب هذه التعاسة الغريبة المستوطنة فى منزل الزوجية الذى بنته بحب وود لتنعم مع من اختاره قلبها قبل عيناها، وقد رأتها بطه شاردة التفكير وعيناها صوب الأرض تبحث عن منبع القبور لتدفن قلبها داخله.

كانت بطه قد أهلكت يداها من تدليك الأجساد المترهلة، وأتجهت إليها بعدما قررت أن اليوم لابد أن يكون يوم الاعتراف عن مكان هذه التعاسة الخفية، وتتلصص من عيناها وقد أتجهت إليها ومعها الإفطار ووضعته أمامها بحب وابتسامة صافية وعزمتها على الإفطار، لم توافق الدلوعه معلله أنها تشعر بالشبع وجوفها ممتلئ.. نعم ممتلئ.. ممتلئ تعاسة وقهر والحلو فيه مرار.

نظرت بطه إلى عين الدلوعه وهى شاردة تحاول أن تدخل عن

طريقهم مخبأ وجعها، وتركتها تنفرد بنفسها لعل تجد لهذا السجين مخرج، إمتلئ تعاسة وقهر على حياة لم تعلم أنها سبب تعاسته بسبب جهلها فى المكان الصحيح للدلع.. مبدعة أنا فى الدلع والجمال وإثارة الأسد داخل الرجل، وأجعله بنظرة من عينى أن يتحول إلى ثور هائج يطوف سماء الكون ليصل إلى قاع الحياة داخلى، وعندما يصل يندم وتحوله لمستى إلى كلب اكتأب ليموت، ويموت كل مرة أجعله يحيا فيها على أمل أن يصل إلى قاع الحياة داخلى، بعدما يحتله الشعور بأن سكان هذه الحياة أموات ليموت من جديد.. تقليدية أنت أيتها الدلوعه وباطنك القضب الشمالى رغم أن خارجك بركان ملتهب وغزال مدلل وأم لا غبارة عليها !! تساءلت أعين بطه هذا الحارس الشارد وقد جاوبتها عين الدلوعه.. أم لا غبارة عليها؟!وأنا من تعبث بعيناها إشارة فيستجاب لها أكوان الرجال.. أم لا غبارة عليها؟ وأنا من سترت عورة ابنتها من تعب رجل غير رجلى ! خرج وصرف الكثير لمجرد أننى بجواره أسير تحت مسمى ابن حتتى.. لا غبار عليها؟ والجميع يعلم أننى بالدلال والدلع تنقسم أفواه المجاورين بين القيل والقال، وضحكة منى جديرة بخراب بيوت عمرانه بالستر.

تدعى الأنوثة وتلعبى على حبل الحياة لتجدى مجال للإشباع

والغرور؛ وأمام الجميع يتراقص خصلك قبل عيناكى لتبهرى العالم وأنت للعالم معرضة للخطر؟! يالكى من حمقاء لم تجد فى الأنثى إلا خارجها أما داخلها ميت. نعم أيتها العرافة أعترف أن نجاستى سبب تعاستى.

فى الاستراحة الأخرى ترتب الاستعراضيه حقيبتها بهدوء وتخرج الطعام والعصير بطريقة مرتبة؛ والمعلمه جالسة معها تشاهدها وناى الشيشه فى يدها، والدى جى يصدر منه أغنية قديمة كان يرددها زوج المعلمه الأول، لأنها تزوجت عدد ليس بقليل من الرجال، وكان كل رجل يشتهي هذا الفرس الجامح.. فارس عربى أصيل ليس بعده ولم يخلق من قبله، العود الفرع كالنخيل الشامخ واللون الأبيض لم يتحرك منه سكنه إلا احمرار الخدين من شمس السوق الكبير داخل باطن صحراء العبور، ترجع المعلمه إلى الخلف يستند ظهرها العارى على الكرسي فى استرخاء مبهج مع ابتسامتها الخالية من ذكورية المعلمين، وتسحب من ناى الشيشه دخانها الأزرق وتخرجه من أحشاء الذكريات البعيدة، عندما كانت بنت فى السوق ملقبة بالضابعة بصمت على رصيف الكفاح ما وضعها فى المقدمة، وصنعت من حيويتها وشبابها العذب وأدبها اللفظى برج شامخ؛ كلمتها سيف على رقبتها وحكمها أمر، وهو كان معلم ابن معلم أبدع الله فى ملامحه جمال

شرقى لا يضاهيه جمال وطول قامة بالجلباب البلدى، والشعر الناعم كان يزغلل عيون الرجال قبل النساء، كلما دخل السوق ورآها ابتسم بشقاوة الصبية وغرور الفرسان، ولكنها كانت أقوى منه وأذكى وكبريائها سبب حيائها، ظلت تتابعه بقلبها وعيناها على زبائن السوق يوم بعده شهر وسنة حتى أعلن استسلامه أمام كبريائها الأنثوى، وتمنى أن يكون أول فارس يركب هذا الفرس العربى ويمرح معه فى صحراء الحياة، وقد كان ولكنه لم يستطع أن يلجم جموحها ولا يشبع رغبتها، بعدما أنجبت منه ولدين وبنت ذهبت معه إلى المأذون وانفصل الفارس عن الفرس العربى، وكلآ منهما أخذته الحياة وهى ممتلئة بها، وتعددت الزيجات لتشبع رغبتها وغرورها كأنثى فقدت حبيبها الوحيد، وباب رحمها مغلق إلى الأبد حتى تصب أمومتها فى أحضان أولاد الحب الخالد فى حياتها، تصب أمومتها فى قلب أولاد الرجل الوحيد الذى سكن محرابها ثم تركه مفتوح للزوار بعد دفع الرسوم المطلوبة، يدخل الزائر دخول شرعى ويستمتع ويغرق وينتهي داخل محرابها ثم يخرج من حياتها، ولكنه الوحيد الذى سكن قلبها ومازال يسكنه.

أما عن بنت الأربعين من عمرها الاستعراضيه فلم تجد ما يأخذها إلى حديقة الذكريات، لأن أيامها منذ ٢٢ عاماً وهى كما

هى، حلمت أن تصبح استعراضيه فى فرقة رضا وسعت بكل طاقتها أن تحقق هذا الحلم وقد كان، حققته وأصبحت بطلة الفرقة النوبية لأنها من النوبة بنت النيل بسمار جسدها وضحكة سنتها ولهجتها المشبعه بالحيوية والجمال الشرقى، ولم تندم قط على هذه الهبة التى وهبتها للفن وهى عمرها، ومازالت مصرة على إتمام رسالتها فى التجوال حول العالم حاملة على عاتقها شرف علم وطنها المصرى، تبهر العالم وتتأملها الشعوب وهى ترسم ملامح الكون بالتنورة، وهنا تذكرت هذا الشاب ابن منطقة سيدنا الحسين الذى علمها فن التنورة وجعلها تعشق فن الاستعراض، حين كان فى زيارة للأقصر مع فرقته الخاصة وقت تعامد شمس الحياة على تمثال رمسيس، ورآها صبية من صبايا زمن كليوباترا، عفويتها وطيبة عطرها احتلوا كيانه وشعر بالانتعاش المبهج، لذلك قرر أن يعيش فى النوبة بجوار هذه الملكة التى لم تكتشف بعد، وهو من قرر أن يحفر مقبرتها ويهدم أسوار معبدها ليخرجها إلى نور العالم ملكة متوجة على عرش قلبه، وهو الذى اعتلى مملكتها عندما أخذها من مدينتها إلى معبد آلهة الحب، وأخذ يقص عليها قصة حياته الثري؛ وهروبه منها ليحيا وسط الفقراء يسعدهم بالاستعراضات ويسعد هو بسعادتهم، وكم تملكه إحساس الشغف وحب الفن، ولكنه لم يشعر من قبل هذا الشعور

المنعش إلا عندما رآها تلهو مع نسمات العصافير وتستحم بأشعة الشمس وسط بحيرة عفوتها خارج حدود المسكونة.

ابتسمت الاستعراضيه برضا تام وأغلقت عيناها وتذكرت حين كانت جالسة مع أميرها فى معبد الحب الهادئ.. أخذ يحدثها عن فن الاستعراض وفن التنورة بالأخص..

الاستعراضيه: بس التنورة دى بتبقى تقيله وتدوخ اللى بيلف بيها.

ابتسم الأمير..

الأمير: فى حد بيدوخ من اللف فى العالم على بساط الدنيا الملون؟!

ويلف حولها بمرح جميل.

الاستعراضيه: بس دى حاجه صعبه أوى.

الأمير: الصعب أنك تقفى قدام الدنيا ومتدخلهاش..

أنك متغمريش وتجازفى ومدقهاش..

إزاى تحسى الدنيا وأنت معشتهاش؟!

التنوره بتسأل..

إزاى تبقى عروسه حلوه والفرحه على وشك متحسهاش؟!

أنت عروسة الدنيا الجميلة..

هتقضى مع التنوره أجمل الليالى الطويلة..

أنت عايشه معاها بس لحظة كبيره..
التنوره يعنى تبقى ملكة جمال العالم بتلف وتدور..
فى العالم على طبق بنور..
وتزغللى عيون الناس بأجمل شعاع نور.
هكذا لاقت كلمات الأمير فؤاد الاستعراضيه وأحبت التنورة؛ وأبدعت فيها بعدما تعلمتها منه؛ وأصبحت أشهر راقصة تنورة فى العالم أجمع.

***

الجامدة

فى لحظة السكون التام وسط زحام الحمام ومياهه الغزيرة، تدخل سيدة من مظهرها يدل على الوقار والهيبة والشياكة البسيطة الغير مصطنعة من ذى النقود الكثيرة والذوق القليل، الشعر الأصفر مع ابتسامتها العريضة أظهرت أسنان ناصعة البياض، ولكن عرض شفتاها أعطاها وسام أنثوى آخر عند الرجال، لأنه ولسبب مجهول مرغوب فيه ومفضل عندهم، والجسد الممتلئ قليلآ لكن طول قامتها وشياكة ملابسها لم تظهر عيوب الجسد الممتلئ.

تنظر إلى الجميع لتستكشف المكان، وتلقى التحية على بطه وهى جالسة مع الدلوعه، وتتجه إليها وتقبل خديها ليضئ القمر على وجه بطه المجهد من شقاء سنين، وتجلس الجامده معها ومع الدلوعه بهدوء، وتتساءل عن سبب ازدحام الحمام اليوم، لأنها لم تنتبه أنه الخميس، وهو يوم مشهور بالموت أنتحارآ على سرير العشق الممتع داخل أحضان الشهوة، ونحن حتى الآن لم نعلم السر خلف اشتعال المتعة فى هذا اليوم بالأخص، احتمال كبير لأنه اليوم الذى يسبق يوم الإجازة الرسمية، لذلك الجميع

يتزوجون فى هذا اليوم فى بلد متدين؟!، أو لأنه كما يقال فى الأمثال الشعبية القديمة «ليلة الخميس يلعب فيها ويهيص» أتعجب جداً من هذه الأمثلة ومن يصدقها، وهل للعب والمداعبة يوم مخصص؟!، وكأن الأيام الأخرى محرم بها المداعبة ياشعب يفتقد معنى متعة الحياة.

تفتح الجامده أزرار البلوزة بهدوء وعيناها تبحث عن من يتلصص عليها لأنها تشعر بالخجل! وقد وضعت البلوزة الحرير على مسند الكرسي الجالسة عليه، ليظهر نصف جسدها العلوى والعادى جداً، ولكن السونتيانه كانت حمراء دانتيل يبرز مفاتن غير موجودة فى النساء.. نعم الأنوثة احتراف، وضع السونتيانه جعل الثديين متلاصقين فى بعض وكأنهم واحد والواحد بينهما، وقد ذهبت بطه إلى البيست لتستكمل عملها، والجامده تستغل زحام الحمام المفاجئ وتقف تخلع البنطلون من على وسطها، وتنحنى لتسقط البنطلون بهدوء السكينة؛ وكأنها أوراق شجرة برية تتعرى من قيودها لتظهر جبال البلوط الذهبى، لتمسكه بيدها قبل أن يبتل من مياه الأرض اللينة فى وقت خروج الحسناء من المغطس لتستنشق هواء رطب، ولكنها وقفت مكانها عندما انتصبت عيناها على هذين الثديين المتلاصقين، ووجدتهم بئر مغلق ينتظر من يفتحه، وسال لعابها على هذه الطاغية المتمثلة فى أنثى هادئة الطبع والروح،

وذهبت إليها دون أن تشعر وجلست معهن بعدما أعلنت العذر لازدحام المكان، وقد رحبت بها الدلوعه والجامده، ولكن بطه تعجبت من اقتحام الحسناء سكنة الدلوعه والجامده وهى من تفضل الخلوة بذاتها ! تعجبت ولكنها انتظرت، واستقرت الجامده مكانها بعدما أنهت التخلص من ملابس المظاهر وأخرجت علبة السجائر المستوردة وأشعلت سيجارة ووضعت العلبة على المائدة، كل هذا والحسناء تتأملها بجانب عيناها، وبطه تتابعهم بنظراتها أو بالأحرى تراقب الحسناء، وتبدأ الدلوعه فى الحديث المشترك بينهم هم الثلاثه المختلفين اجتماعياً عن بعض ليتعرفن على بعض، ويبدأ الحديث وتبادل الحوار ما أظهر لهجة الجامدة الاسكندرانية. ولكن ما سر هذه القشعريرة التى هزت كيان الحسناء عندما سمعت لهجة الجامده؟! لهجة اسكندرانية رائعة الجودة جعلت الحروف متمثلة فى غجرية محترفة فى إثارة الرجال والنساء فى جميع رحاب الكون الملئ بالتفاهات، وسط زحام اللهجة المطاطية كانت متمسكة بلهجتها القرموزية تداعب بها أصابع الشغف عند القاهريين ذو اللهجات المتنوعة وصراخ الضجيج العالى والأصوات التائهة فى الفراغ..

تراقصت أمواجى على لهجتك أنتِ يا عروسة البحور.

غابت بعدك أوتارى فى ساحتك الجسور.

أصبحت أمامك فارس فى إناء مكسور.
تحطم سيفه اللغوي فى عالمك البلور.
أبحث عن ملتقى لأشعارى وأنت كالغزال المغرور.
تتدللين بخصلك الأبيض المزين بالذهب المغزول.
دربى تاهت خطوته فى رحابك المعزول.
عن الحياة داخل وجدانى أنت بدر البدور.

غجرية.. اسكندرانية.. عروس البحر الأبيض.. صناعة هذا الملك المهتم بالتاريخ وصناعته وتأسيسه، كم كنت مبدع أيها الأسكندر الأكبر عندما اكتشفت الأسكندرية وصنعت منها سرح عظيم لا يضاهيه تراث طبيعى بشطئانه وسمائه المبتلة بطبيعة الحياة، وفن صناعة الأنثى الاسكندرانية ليست مختلفة كثيراً عن إناث القاهرة أو مدن مصر الكبرى، إلا أنها منفردة بألوانها الخاصة فى لهجتها وطباعها وفن أنوثتها، ولكن تبقى الأنثى أنثى مهما اختلفت الطبقات واللهجات، بداخلهن لغة واحدة منفردة بهم هن فقط وهم فقط يفهموها، بنظرة عين فقط تفهم الأنثى طبيعة الأخرى أو شعورها، من نظرة عيناها تشعر الأخرى بمأساتها وحقيقتها، إذا كانت غيورة أو مغرورة، إذا كانت هادئة أم باردة، إذا كانت طبيعية أم مصطنع، وقد استوعبت الجامده حقيقة الحسناء من نظرة عيناها وطريقة حديثها، وأخذت

تعرفهن عن نفسها وتقص لهم حقيقتها المعلنة فقط، فهى صحفية فى جريدة مشهورة ومقالاتها تنشر فى جرائد كثيرة، ومع ذلك لم ينجح ويستمر زواجها بهذا المسؤول الكبير لأنه لم يستطع أن يتحمل تحركاتها الكثيرة وحب الجميع لها، وغيرته الزائدة كانت سبب الانفصال. وهنا نظرت بطه إليها عن بعد نظرة شك متعجبة، لأن كل هذا غير مبرر لعدم الإنجاب منه إلا إذا.....!، يالهذا الشك فى عقلى وكأنه جندى مجنح يصارع ذاته داخلى، وكأنه رأى رؤيتى للجامده بأنها رغم هدوئها ومرحها الساكن، إلا أنها تمتلك داخلها امرأة لعوب، وبالأخص أنها تمتلك إحدى غرف هذه المؤسسة الكبيرة تحت شعار الصحافة ومقرها الإسكندرية، ومع ذلك تتجول كثيرآ فى جميع ميادين الوطن العربى!!. ولما التعجب؟ اليوم هو يوم الاعتراف والحقيقة ضيفة شرف.

اتجهت الجامده إلى المغطس بعدما وقفت كسنبلة قمح ذهبية تصعد إلى السماء لتقبل الشمس بشموخ أميرة من أميرات الزمن الماضى، وهى تلقى بالسجارة تحت أقدامها وهى ترسل للحسناء رسالة بعيناها..

كالتبغ صنعتك.. احتويتك.. أشعلتك.. استنشقتك..
ومن فمى أخرجتك دخان يحلق فى السراب..
وبالنهاية ألقيتك تحت أقدامى قتيل

ثم اتجهت إلى المغطس وعين الحسناء ذئب يشتهي فريسته أعلى جمرة الشوق تتابعها، حتى ابتلعتها ألسنة الدخان الفضى وكأنه قضاء الطبيعة، الفضة والذهب لا يمكنهم الاختلاط، ولكنهم معدن موحد من باطن البركان الهائج داخلى، يبرزوا كالأسماك الشرسة يسبحوا داخلى ويداعبون مخالبى، ويخرجوا من رحمى حتى تتمزق أحشائى ألمآ على فراقهم عن بعض، وأنا كالأبرص يادنيا أحياكى خارج أسوار المدينة.

تخرج بطه من فمها لهيب التأفف من سقم حياتها، وهى تنظف هذا الجسد العفن الملقى أمامها، وتترك نفسها تحدث إلهها الحى داخل روحها « تاهت خطوتنا بين انتظار أيامنا القادمة وبين الرجوع إلى الأيام الماضية، وأصبحت سطر مذكور فى كتاب الذكريات.. أبحث مع نفسى عن أشلائى.. أحاول أللمها.. أجمعها.. ألحمها من جديد لتصبح صورة كاملة، ولكن من أين الكمال ونحن يانفس نحيا فى انتظار؟ انتظار الهوا يداعب أوتار القلب لتدق أجراس معبدنا، يداعب شرايين وريدنا.. يمرح السكون فى مخدعنا كالطفل فى ساحة الانتظار، ياإلاهى حتى السكون يجلس فى انتظار حتى يرحل من مخدعى البتول؟! قاعة الانتظار ممتلئة بالكثيرين اللذين يبغون الرحيل كما أبغاه.. نعم أبغى رحيل الملل.. الروتين.. السكون الساكن، يانفسى أبغى رحيلك

ليرحل الجميع معك وأحيا الدنيا كما أبغى، دون رحيل، ودون وداع، ودون شجن أو ترحال.. لا تساومينى يانفسى أريد الرحيل من عالم الممات من عالم الذكريات، من عالم النفايات والحاقدات والباغضات، أبغى الحياة فى عالم الحياة، أحيا وحيدة دون بشر، دون ألم أو فساد، أحياكى يادنيا الحياة بينك وبين الطبيعة بالفعل تكون الحياة، أرحل إلى ريحان الحرية دون قيود، دون جحود، دون خضوع، دون قوانين أنطلق من كتاب إلى كتاب، من عالم إلى عالم ألملم نسمات الحياة، واستجمع كل ما شهى وطاب. أخلق كون يصبح كونى الوحيد القريب داخل قلبى أحياه.. ياإلاهى لا أريد إلا الحياة فى رحابك أسبحك وأحياك بالداخل، داخل كون خالى من الأفاقين الفاسدين الحاقدين المهووسين بالنشوة والشهوة وأصبحوا للشيطان عباد».

كانت الاستراحة ساكنة إلى أبعد حد داخل الجميع رغم صراخ الأغانى الشعبية الغريبة، والتى أطلق عليها أغانى الشباب، وهى بعيدة كل البعد عن لغة الشباب الواعى الناضج، كانت تصرخ النغمات وسط عويل الكلمات والبوح بالوقاحة والبذائة وكأنها لغة العصر الحالى، غائب كل جسد عارى وكأنه ألقى قتيلآ فى باطن الهموم، والبوح بداخله لا ينظر إلى الموتى المجاورين له، ولا يأتي للمياه المتدفقة بين أصابع قدمه، تائهه كل نفس فى

حى الذكريات، تترجى كل نفس كتاب ذكرياتها أن يغلق بابه أمام رغبات السكون فى البحث عن ما يؤرق صفوة النعاس، وكأن السكون والذكرى وجهان لعملة واحدة.. بين تنشيط الذكريات والنعاس فى غابة الصفاء، كلّ منا يسبح فى محيط الأحلام بزورق الطموح دون مجاديف، ولكن من امتلكت ذراعي الإرادة والإصرار تصل إلى مرسى النجاح، وأحلامها الخيالية تصبح واقع ملموس، ولكن من منا امتلكت ذراعي الإرادة والإصرار دون طمع فى النجاح؛ لأننا ببساطة بسطاء فى أحلامنا؛ ضعفاء النفس أمام ملذات الزواج؛ وهو نقمة لمن امتلك عقل يفكر؛ وشخصية استقرت دون مشقة الحياة ودون قيود؛ دائمآ كنا ومازلنا نبحث عن سبب ما يؤرق صفوة سماء الحياة البرارى المعلقة فى أعين تنزف دموع لا حصر لها من مشقة وأرهاق؛ حتى من اعتمدت على الآخر تعانى من رتابة أيامها وفتور فى علاقتها السهلة والسريعة؛ لأنها لم تتصالح مع نفسها بعد؛ أو بالأحرى لم تكتشفها رغم وجودها داخل نفسها.

أنا لا أهزى رغم احتسائى خمر الصباح المعتاد؛ وإنما أبوح بما فى داخلى من ترهلات غبائى؛ لأننى ورغم مكانتى العالية فى حصن الأعلام وعلاقاتى المرموقة مع ذو النفوس العالية؛ لم أجد لذاتى ملاذ سوى الفضفضة مع نفسى.. أووووف.. تغلق عيناها

بعدما شعرت بالسخف ويداها تتحسس ساقيها تحت المياه الساخنة فى المغطس وكأنها تخمد نار اشتعلت بينهم.

من جديد عاد عقلى يهزى رغم يقينه بأن لا فرق بين النفس والذات؛ لأن النفس هى الذات والذات من الملذات الإيجابية فى الحياة؛ ولكنه إذا كان يطمح باللجوء إلى بلدان النجاح؛ كلاجئ طموح هارب من بلد الفشل المثقل بالأحمال الكسولة والزائفة الغبية.. كنت أحلم بكل شئ.. الحياة المرهفة والزواج السعيد والوصول إلى أعلى المراكز والاستقلال الذاتى والمادى؛ ولكن من أين الكمال ونحن بالنقص خُلقنا؟! لم تحصد يومآ كل ما أشتهته الجامده؛ ولكنها امتلكت بعض أمانيها فى بعض الوقت؛ حتى استقرت على الاستقرار المادى والذاتى ومركز إلى حدً ما مرموق.

جالسة أمامها فى المغطس وعينى تسألها..

أنا: جربتى جميع الرجال أم مازالت أنواعهم لم تصلك بعد؟

تفتح عيناها متنهدة بابتسامة سخرية لطيفة وتجيبنى..

الجامده: نعم جربت جميع الرجال وجميعهم لم يستطيعوا أن يسقونى شهد المتعة؛ ولم يخمدوا وهج أنوثتى حتى بعد الجميع عنى؛ كان من يسكن عينى بأناقته أو ثقافته أو حتى علاقاته بالنفوس المرموقة كان لابد بطريقتى الخاصة أن يدخل مخدعى؛ وبالنهاية يخرج ووسام الخيبة أعلى كتفيه.

تخرج العروسه من المغطس وجسدها أحمر اللون بالكامل والإرهاق ضيف وجهها؛ تمسك الحائط بيد ترتعش من شدة إرهاق شعورها بالسخونة والخوف من المجهول؛ وعيناها تتجه إلى مكان جلوس شقيقتها؛ وتتجه إليها معلنة التعب؛ وتجلس على الأرض بجسداً عارٍ تماماً؛ وتفرد ساقيها أمامها مفتوحتين؛ إعلان عن غياب الخَجل؛ وكأنها تعلن عدم المبالاه لتعاليم استوطنت عقلها منذ الصغر؛ وتأخذ علبة عصير تروى بها ظمأها لترطب جسدها من سخونة المكان؛ وشقيقتها تشاهد تصرفاتها باندهاش لم يعطيها فرصة أن تدرك حالتها النفسية؛ وبالطبع لم تراع إرهاق وجهها وعقلها حتى جسدها؛ وطلبت منها أن تجلس علىً الكرسى وتغلق ساقيها؛ لتغلق باب أنوثتها وتستر مفاتنها باللفافة، ولكن العروس لم تبالى بما طلبته منها شقيقتها؛ ما استفز الشقيقة الكبرى وجعلها تلقى باللفافة فى وجه العروس.

بصرخة صادمة..

العروسه: بس بقى.. دى حاجه وسخه.

يلتفت إليها الجميع وكأن قنبلة انفجرت وسط المياه؛ فى من بررت انفعالها هذا أنه تعب؛ ومن اتهمتها بالوقاحة؛ ومن ضحكت لتخفى حقيقة شعورها بمأساتها، ولكن بطه نظرت إليها بعطف لأنها مدركة تماماً مدى معاناة العروس التى تمتلك من

سنين الحياة ثمانية عشر عاماً فقط؛ وسوف تصبح سيدة مسؤولة؛ وهى أضعف من المسؤولية وغير مؤهلة لها، وتحدثها بطه داخل عقلها..

بطه: رغم عدم إدراكى التام لحقيقة معاناتك لأننى حتى الآن لم أتحمل مسؤولية منزل وزوج؛ ولكن من محاكاة النسوان معى أدركت مدى ضئالتك فى تحمل هذا العبء؛ أشفق عليكى ولكننى أحسدك على دخولك هذا العالم الجديد من الباب الشرعى أيضاً.. تحقدى عليها يا نفسى وأنت مدركة عدم إمكانية دخول هذا العالم؛ لأنك اخترتى أن تشاهديه من الخارج فقط؟ عجيبة أنت أيتها النفس الضائعة بين نجوم النساء المتلألئة فى ملكوت الرجال.

***

أنا والعروس

جلست بجوارها أواسيها وأعرفها أن من أتهمتها بالوقاحة هى الوقحة؛ لأن البشر مرآة النفس؛ ومن بررت انفعالها بالتعب هذا لأنهم جميعهن متعبين بالداخل من شقاء الحياة الغير مفهومة؛ لأنه قانون العالم؛ بين الولادة والموت تكون الحياة فى صراع لا مفر منه؛ نحياها فى زهد أو شقاء لكن فى النهاية نحيا فى سجن الصراع إلى تحقيق الذات؛ أو الصراع فى الوصول إلى النهاية حتى لو كانت حتمية أو غير ضرورية مصرين على الحياة فى صراع؛ ولكن من منا سأل نفسه عن سبب وجوده فى هذا الصراع؛ ولماذا أصبحت الحياة صراع لا مفر منه؟.

أخذت الحسناء سيجارة من علبة الجامده؛ وأشعلتها وحبست دخانها بداخل صدرها ليغوص داخل وجدانها؛ ويخرج صفحة أول لقاء جمع بينها وبين فتاة الإسكندرية؛ وهى تغلق عيناها وترجع إلى الخلف فى استرخاء ساكن تخرج معه مابقى من دخان أول سيجارة وتبتسم؛ ولكن غيرة الدلوعه قد لفتت نظرنا عن ذكرى الحسناء.

لم تشعل الدلوعه سيجارة كما الحسناء وهى جالسة معها

على المائدة الدائرية؛ وأنما أخرجت تنهيدة مميتة عندما تذكرت يومها المشؤم؛ وكان سبب كل هذا العذاب المقيم داخلها؛ عندما كانت بنت الثانية عشر؛ وكان آخر يوم لها فى امتحانات الشهادة الابتدائية، فتاة صغيرة ولكن جسدها يشبه شجرة فى انتظار نضج ثمارها؛ وضفيرة شعرها الأسود سلم سمائى ناعم؛ حتى ضحكتها الطفولية لم تتحمل يومآ دمعة حزن؛ وتصرع الذكرى فى سرد القصة..

جئت من المدرسة والسعادة تغمرنى بالإجازة الكبيرة؛ ولعبى مع أصحابى فى الحارة وركوب العجل؛ ولكنى فوجئت بأمى تخبرنى أننى سوف أذهب معها فى مشوار؛ وكان مشوار الموت الحى، فى إحدى المساكن القديمة كانت أمى تمسك يدى بقوة ضابط شرطة ألقى القبض على متهم هارب؛ وبالجانب الآخر خالتى الصغرى ذات الشعر الأحمر؛ ودخلنا العيادة وأنا لم أعلم بعد من منا مريض؛ وأنا كنت المريضة الغائبة؛ مريضة بمرض الأنوثة القادمة؛ وكان لابد من بتر هذا المرض قبل أن ينمو وينتشر فى أعضائى الأنثوية بالفطرة؛ وبالقسوة فى هذا اليوم على ذاكرتها هذه التعيسة؛ وكأنه داء لم تطيب منه.. نعم رأيتها هكذا وهى تمحى دمعة هربت من سجن عيناها حزناً على بتر مصدر لذتها وسعادة زوجها الذى تحبه أكثر من حبها لأولادها وهم فلذة كبدها!!

دخلت الغرفة وهم بجوارى من الجانبين؛ رأيت دكتور على وجهه ابتسامة جعلتنى أبثق عليه داخلى؛ أخذنى وألقى على كتفى التحية حتى أطمئن له؛ ولكنى خفت.. طلب منى أن أنام على السرير وأنا نمت؛ وفى لمح البصر وجدت أمى تمسك بيدى بكل قوة؛ وخالتى تمسك ساقى والممرضة تمسك الأخرى؛ بعدما أخذوا اللبس الداخلى الخاص بى؛ وأنا خائفة لا أعلم ما يحدث؛ ورفعت رأسى لأرى ما يحدث؛ لأكتشف أن الدكتور فى مواجهة مع عورتى؛ هكذا كانوا يسمون عضوى التناسلى فى أيام الخجل المصطنع لفتاة لم تبلغ بعد، وكان فى يده موس كبير؛ وفى لحظة قطع قطعة لحم من جسدى وهو فخور؛ وكـأنه منتقم وانتصر؛ والدم ملأ السرير وماتت الأنوثة داخلى وكفنوها بالشاش الأبيض؛ حتى شعرت بأن نصف جسدى غرق فى بئر جبس أبيض؛ وكان العزا فى المنزل فرح! تعالت الزغاريد بدلاً من الصراخ؛ والجيران والأحباب أخذوا يتبادلون التهانى لأمى بدلآ من التعازى وطلب الرحمه لمن مات؛ وهو أغلى شئ فى البنت شعورها باللذة وتمتع من امتلك جسدها؛ ولكن لمن نقول ونعلم هذه الحقيقة ياعقول عفنة بسبب عدم التفكير؛ الختان علامة طهارة وعفة البنت؟! نقتل الشعور لنضمن العفة؟! والآن لا أنا عفيفة ولا أنا استطيع إشباع زوجى حتى اتهمنى بالبرود؛ لأننى أصبح كالميتة تحت

جسده على سرير الزوجية.. وكيف كالميتة وأنا بالفعل ميتة.. جسد يتحرك ويتغذى ولكن دون شعور وإحساس؛ وأنا ذنبى إيه؟

تصرخ داخلها بغضب ويلفظ بصرختها لسانها؛ ولكن لم ينتبه إلى صرختها إلا الحسناء لأنها جالسة معها وبطه لأنها تشعر بها ! أما باقى النساء لم ينتبهن إليها بسبب علو صوت الأغانى الصاخبة.

نظرت المومس إلى الدلوعه وابتسمت ابتسامة سخرية أكثر منها شفقة؛ وتخبر ذكرى الدلوعه بأن الختان ليس وحده سبب الموت !ولكن احتضان جسد ابتلع جسدك بالنقود أيضآ موت فى تابوت الحرام، تتصفح المومس كتاب ذكرياتها؛ تبحث عن صفحة أول لقاء محرم محلل جمع بينها وبين من وافق على تبادل زوجته مع زوجى، كان رجل وسيم كامل الفحولة والرجولة؛ ملامح وجه نحت شرقى ؛وعضلاته البارزة من التى شيرت والبنطلون الجينز دليل على الرقى والتحضر؛ شاب جذاب؛ لذلك وافقت بعد إلحاح من زوجى مميت عليه.. كنت أتظاهر الرفض وداخلى كنت أتمناه؛ ليس خيانة ولكنها التجربة ! تجربة شئ جديد وغريب بعيد عن التقاليد والأخلاق؛ وكل هذه القيود؛ وبالنهاية هى تجربة مغلفة بسولفان الدين؛ أى أنه حلال وزوجى يعلم وموافق، ذهبت معه إلى شقته بمفردنا؛ كان الخجل مصطنع والخوف شاهد عيان، ولكنه

احتواها برقة وهدوء؛ حتى أنها وجدت فى القميص الحرير الملقى على السرير كدعوة صريحة منه لها الملتقى، وكم كنت جريئة عندما ارتديت هذا القميص وظهر مفاتن جسدى أكثر ما خفى؛ حتى أننى انبهرت من جمال جسدى أمام المرآه؛ وكأنى لأول مرة أراه ! وهو كم كان رائع عندما بدأ فى مداعبتى ومعاملتى برفق وحنان؛ ويداه تائهة فى جميع أجزاء جسدى تبحث عن الشئ المفقود؛ حتى فقدت أنا الوعى بين يداه على الأرض؛ أغلقت الدنيا أبوابها أمام أبواب الجنة التى أسكنتنى رحابها دون أن أشعر حتى الصباح؛ تائهة فى الجنة داخل جسد هذا المتمرس؛ بذكاء كان يملأ كأس الشهوة بالشغف ويسقينى حتى يسكر هو وأغيب أنا ويظهر هو؛ وبالنهاية أحببت هذه الدنيا بسببه وكرهت زوجى؛ لأننى علمت أن قدرة الرجل مستمدة من قوة المرأة حتى لو كانت قوتها هذه ضعف، وبالنهاية خرجت من جنته بعد أسبوع كامل؛ مر وكأنه دقيقة لم أتمعن فى جمالها إلا القليل؛ متمنية العودة إليه مرة أخرى؛ وكلمته فى أذنى كأنها مقطوعة موسيقية تحتل وجدانى لتعيد لى ثقتى فى نفسى كلما قست على أنوثتى؛ كلمات لمن ماتت بداخلهم معنى الرحمة والرأفة « رغم أنك مختونة ولكن جسدك ملتهب؛ وكأنه كأس من الخمر ذاب فيه اللؤلؤ «يا الله كم كانت كلماته مثل الطيب يسكب على جرح الزمن تشفيه،

ولكنى ندمت عندما تخيلت أن جميع الرجال مثل هذا الوسيم؛ وكان زوجى أول صعقة تضرب رأسى بعده؛ لأننى قبل أن أقابل هذا الوسيم كنت أعتقد أن زوجى رجل عادى أو حقيقى!! والآن اكتشفت أن الجنس مع زوجى كان غباء نتيجته الحماقة؛ وأنا كنت حمقاء لأننى لم أعلم بعد معنى الجنس الحقيقى، وتكررت الزيجات المحرمة المحللة؛ وتجددت الكراهية داخلى للرجال مرة تلو الأخرى؛ بعدما بدأت اكتشف مدى أنانيتهم ووحشيتهم فى المعاملة؛ حتى اتهمت مرات ومرات أننى متبلدة؛ وأنا بالفعل أكون متبلدة مع الغبى والمتوحش.. علمتى أيتها الدلوعه أن البرود أحياناً يصبح نتيجة وليس سبب!

***

الاستعراضيه

تدخل الاستعراضيه المغطس؛ وجلست بهدوء فى المياه الساخنة؛ أمام الجامده وبعض السيدات العشوائيات؛ كانوا ملء المكان بجميع الأحجام والأعمار؛ حتى الملابس كانت عشوائية بطريقة تثير الاشمئزاز.. ملابس قطنية غير متناسقة فى الألوان أو حتى المقاس، عشوائية غريبة فى الملابس الداخلية دليل على أنهن فقدن المتعة الجسدية منذ زمن؛ إما بسبب كبر السن أو بسبب إهمال الرجل؛ أو لفقر السيدات للذوق أو المال أو للمعرفة والعلم.

الجنس فى أهميتة المظهر الخارجى للإثارة الجنسية؛ ولكن لمن ستثير السيدة فى حمام ملئ بالسيدات مثلها؟! ولمن سوف تظهر مفاتن الأنوثة لغير زوجها وهو ليس ها هنا، ولكنى هنا لأصحح معلوماتكن؛ أيتها النساء المحتشمات بالغباء إن الجمال الظاهرى والداخلى دليل على الثقة؛ لابد أن تظهر عليكن حتى تكتسبن الثقة فى الذات؛ وبالأخص إذا كنتن تفتقدن الثقة الشخصية والعقلية داخلكن، وسط زحام المغطس كانت الجامده جالسة وركبتيها يلامسان كتفيها؛ ليس خجلآ أو خوف وأنما بسبب ازدحام المكان؛ وعيناها تذهب إلى هذه وإلى تلك وتتأمل أحاديثهن

الصاخبة عن الجنس والإثارة وانتقاد الأجساد والرجال؛ وكانت تبتسم سعادة لأنها حرمت من مثل هذه الأحاديث البسيطة؛ بحكم تعدد علاقاتها مع صفوة المجتمع، أما أكثر ما لفت نظر الاستعراضيه وهى جالسة مع الجميع فى مياه المغطس الساخنة هذه الفتاة الصغيرة؛ طفلة لا يتعدى عمرها السابعة بالأندر فقط؛ مدللة من قبل شقيقتها وزوجة خالها المتواجدات فى المغطس؛ وقد أخذت زوجة الخال الطفلة وأجلستها على ساقيها العاريتان تحت المياه الساخنة؛ واحتضنتها لتشعرها بالأمان؛ والاستعراضيه كانت تشعر بيد الخال وهو يتحسس جسدها كمداعبة أبوية؛ أثارت شيئاً غريب داخلها لم تعرفه بعد بنت السادسة من العمر؛ حتى أنها لم تعرف بعد هذا الشئ الذى برز من داخل بنطلون الخال؛ وظل يحتك بنصف جسدها السفلى؛ وهى جالسة على ساقيه فى مداعبة الخال لابنة شقيقته؛ وابتسامته العريضة كانت دعوة منه للراحة والسعادة؛ وقد تكررت هذه المداعبات الأبوية كثيرآ شهور لا حصر لها؛ وهى لا تعى معناها حتى نفرته وبعدت عنه قدر المستطاع؛ وهو كان يهددها بالضرب والحرق إذا تحدثت عن شئ مع أحد؛ دليل آخر على أنه كان شئ عيب لم أعرف معناه وأنا صغيرة حتى كبرت وبلغت وعرفت معناه.. معنى التحرش الجنسى من خال فى مقام الوالد؛ وبسببه كرهت الرجال

وأستحقرت الجنس؛ وبغضت كل من لمس جسدى حتى لو كانت سيدة، وبطريقة غير مدروسة – كرد فعل – أخذت الاستعراضيه الطفلة من زوجة خالها؛ لتجلسها على الأرضية الساخنة بجوارها؛ معللة ذلك بأن المياه الساخنة لابد أن تصل لجسدها بأكمله حتى تتوغل فى عظامها، وقد استجابت لها زوجة الخال خوفآ منها؛ لأنها رأت فى عين الاستعراضيه نظرة شر ليس لها مبرر إلا أنها ليست طبيعية.

* * *

الجامده

أما الجامده فقد رأت بعين الصحفية معاناة الاستعراضيه فى نظرة الشر هذه؛ وتساءلت ما سرك أيتها الاستعراضيه؟ كرهتى قربك من النساء فقط أم من جميع البشر؛ بسبب نشأتك فى أسرة صنعت منك سلعة مدربة على افتراس الفرص.

كنت فتاة جمالها محدود؛ ومع ذلك ترعرعت فى أسرة جعلتنى أهتم بالمظهر والجمال؛ وتدابير المنزل حتى أصبح زوجة جميلة وست بيت ممتازة؛ وكبرت وأنا أعى أننى سلعة تستهلك فقط؛ مسلوبة الإرادة؛ مغلوبة على أمرها، حتى نجاحى العلمى فى المجال الذى كنت أتمنى أن أصنع فيه شئ يدون فى كتاب التاريخ الصحفى؛ أسرتى جعلتنى أستغله بأن معرفة الناس كنوز؛ وأن الرجل وسيلة للوصول إلى النجاح والعلو، وما الرجل إلا إحدى السلالم تقفى عليها حتى يعلو شأنك من مستوى إلى مستوى أعلى، حتى أصبحت مشددة بين رغباتى الجسدية فى رجل يستحق هذه المعاناة منذ صبايا لأصبح جميلة له هو فقط؛ يشبعنى شغفآ وأشبعه متعة؛ وبين استغلالى لهم لأنجح وأصبح كما أريد؛ وبالنهاية انزلقت ساقى وسط سلم النجاح حتى مر بى

العمر؛ وأصبحت أكبر من حقيقة عمرى؛ ولم أتخلص بعد من هذا الداء البشع وهو استغلالى لجمالى ودلالى لأنجح؛ ولم أصل بعد إلى المتعة الحقيقية حتى يومنا هذا؛ والنتيجة الوحيدة التى توصلت إليها الآن هى أننى أصبحت أبغض جميع أفراد أسرتى، بما فيهم أشقائها الرجال لأنهم يفرضوا عليها ولاء الطاعة؛ مبررين هذا بأنهم جسر الحماية لها من ألسنة الناس؛ وحمى حماة سمعتها لأنها مطلقة؛ وهم فى الحقيقة يستغلونها كما هى تستغل الرجال فى النجاح؛ وتظل الدائرة الفارغة تلف بها وبهم وهم بالداخل؛ لم يجدوا من ينقذهم من هذه الدوامة الاستغلالية الساكنة داخلهم وكأنها طبيعة بشرية؛ وقد تمردت حتى سقطت فى بئر الضياع؛ تائهة خطوتى فى أركان المدينة المضيئة بالكذب؛ وأنا من بحثت بكل إمكانيتها عن معنى الحياة الحرة؛ ولم أعلم أننى بالوهم ممتلئة؛ وبالمسميات والمسممات مغلفة كالسوليفان عندما يغلف قطعة شيكولاتة من غبار التلوث ليحميها؛ وهى بالتلوث ممتلئة؛ لتنتشر كالطاعون داخلى، لقد مرضت نفسى من طاعون السعى الملوث بقاذورات أطلق عليها العلماء والباحثين « الفساد « لتصبح نفسى بالفساد ملوثة؛ تسعى إلى تطهير نفسها بنفسها؛ لتظل هكذا إلى الممات تسعى وتسعى حتى تفنى من دنيا الفساد المميت.

المعلمة

أما المعلمه قد اكتفت بالجلوس على أرضية المغطس بالخارج أمامهم من كثرة ازدحام المغطس، قد فردت ساقيها المتورمتان من كثرة الوقوف لساعات طويلة فى السوق بين الباعة والتجار كالأسد الجسور وهى تشعر برضا نفس مخيف؛ رغم أن طفولتها كانت تعيسة؛ وفى مرحلة البلوغ تحولت التعاسة إلى المشقة فى السوق الكبير مع والدتها، وهى سيدة مثلها مثل الكثير من المطلقات والأرامل التى تعيل الأسرة بأكملها.

والمعلمه كانت فتاة كما قال الكتاب مفعمة بالحيوية؛ أخذت من السوق الفرار من المنزل وتحكماته؛ وتعلمت معنى الاستقرار المادى رغم جهلها التعليمى؛ وأدخلت من أرباحها البسيطة مبالغ قليلة بمرور الأيام والسنين أصبحوا كثيرآ؛ واستأجرت أول محل صغير لتتاجر فيه بعرق الجبين الشريف، وهى لم تأخذ من السوق حريتها المحكمة والاستقرار المادى فقط ولكنها تعلمت فيه معنى الجدعنة؛ والوقوف بقوة أمام الظلم حتى لو كان متمثل فى أكبر معلمين السوق، وظلت تكبر جسدياً وخبرة ودلال؛ تعلم متى وأين وعلى من تستخدمه؛ حتى أصبحت خبيرة فى الرجال، تعلم حجم

الرجل وإمكانياته المادية والجسدية من نظرة عين واحدة؛ وبنائاً على هذه النظرة كانت تختار شباكها المناسبة له؛ وتسقط الفريسة بسهولة فى شباكها.

ياللعجب منها هذه الأنثى لم يستطع رجل واحد أن يسقطها حتى الآن فى شباكه؛ لذلك كانت تشعر برضا مغرور داخل وجدانها؛ وكأنها تحدث النساء أجمع بأنهن غير مدركات حقيقة الرجال كما تدركها هى، أنهم كائنات تشبه الكلاب أمام المرأة؛ تسلب منهم كرامتهم حتى أنهم يسجدون تحت أقدامى بخشوع؛ لأكشف عن بئر أنوثتى الخمرى.

***

المنحرفة

أما المنحرفة فقد أكتفت بابتسامة السخرية من حالها وهى تنظر اليهم جميعاً؛ من موضعها الذى أتاح لها أن ترى الجميع حتى من فى المغطس، رغم أنه داخل غرفة تشبه الكهف؛ بابه صغير جداً لحجب البخار، ولكنها مرت عليهن جميعاً بنظرة عيناها؛ وبداخلها شفقة مميتة على ماضيها الذى لم يتيح لها فرصة أكتشاف البرود الجنسى أو النشوة؛ لأنها وللأسف لم تكتشف عيوبها العضوية والبيولوجية؛ بحكم التربية السقيمة أيضاً؛ بأن مرفوض رفضاً تاماً وبطريقة مباشرة أو غير مباشرة من استكشاف أعضاء جسدها؛ حتى لو كانت الخارجية مثل الثديين، ولولا أن إحدى أصدقائها البنات لفت نظرها إلى صغر حجم ثدييها؛ وكأنهم شبه معدومين ؛ ماكانت تجرأت للذهاب إلى طبيبة نساء؛ لتفاجأ بعد الفحوصات والكشف أنها مخنثة، نسبة هرمونات الأنوثة والذكورة متساويين؛ مما أدى إلى وقف نمو الثديين؛ وعدم إتمام نمو الرحم؛ مما أدى إلى ضعف الدورة الشهرية؛ بجانب غلق شفرتين المهبل؛ وأن أجراء عملية جراحية لها سوف تكون مكلفة جداً؛ لذلك طلبت منها الدكتورة أن تختار لنفسها هوية

رجل أو فتاة؛ وتأقلم نفسها على هذه الهوية! لتخرج من عيادة الدكتورة وكأنها أصيبت بالمرض المسمى التخلف العقلى المفاجأ.

تائهة يادنيا داخل عالمك.. كم احتلتنى الرغبة فى الغلق على ذاتى؛ كما أغلق جفن العين بقوة حتى لا أرى ما لا أريد أن أراه.. أختفى من الكون.. أسكن هناك.. هنااااااك أسكن.. أكون.. أهرب.. أتبخر من عيون البشر؛ داخل النيل.. فى عمق السماء.. فى قاع الأرض.. فى أى مكان خالى من البشر؛ لأننى لم أنتمى إليهم، بالنسبة لهم أنا كائن غريب؛ وبالنسبة لى هم كائنات غريبة؛ وتصدر منها صرخة مدوية فى جميع أركان كورنيش النيل؛ وهى واقفة عنده تائهة وعيناها يفيض منها الدموع..

تايهين ضايعين فى دنيا الحياة

مش عارفين على فين وخدانا الآه

الأحلام بتضيع والعمر بيجرى واحنا واقفين

ليه يازمن بترخصنا واحنا الغاليين

نروح فين ولا لمين يساعد ربيعنا المسكين

أحلامنا ضاعت وقلوبنا دابت من كتر الأنين

أطفت ورود عمرنا واحنا ليك خاضعين

حرام عليك يازمن تضيع مننا أحلام بيها متمسكين

قولى يازمن فى زمنا دا مين بيحب مين

وبالنهاية اخترت أن أبقى أنا كما أنا؛ المرأة العربية التى تعانى من تناقض مجتمع وأفكار وقوانين تبيح كل شئ وتحرم كل شئ، أبقى المرأة التى لو أرادت فعل شئ حتى لو كانت فى سرداب أو قبر مغلق عليها سوف تفعله وبترحاب؛ لأن المرأة أبداً لم ولن يلجمها شئ إذا أرادت أن تفعل، ولكن الأخلاق والتقاليد تقف أمامها بالمرصاد.. الآن أهزى بما يجول بداخلى وكأنى أصارع أمواج البحر ودواماته معآ، بين السالب والموجب وقفت هكذا أردد ما يجول بداخلى؛ حتى أصبحت امرأة متناقضة مثل المجتمع المتوغل داخلنا جميعاً؛ لذلك أجد طبيعتى وراحتى فى أحضان العاشق حتى لو كان عاشق مجهول؛ أحاول أن أحيا كما أنا؛ ولو للحظات قليلة أثبت فيها حريتى فى إدارة زمام أمورى؛ وأنا أعى تماماً أن النهاية حتمية باتهامى بالفسق أو الفجور؛ ولكن لا مفر من هذه النهاية مادامت المرأة لم تجد لذاتها مفر إلا العشق المغمز بالليل المظلم؛ بسبب ما يطلق عليه التقاليد والعادات؛ هكذا تحدثت المرأة الساكنة خيال المنحرفه!

* * *

المـــرأة

وسط ضجيج الأغانى وازدحام الكلام وكثرة الحركه؛ بطه كانت واقفة بقوامها الضئيل أمام البست؛ تطهر أجساد نساء ألقت مصرع أنوثتهم منذ زمن؛ ولكن هن مازلن تعيشن وهم الأنوثة كالمجنون الذى تقمص شخصية جمال عبد الناصر من كثرة عشقه له؛ حتى أنه لم يصدق بعد أن عبد الناصر قد فارق الحياة من سنين كثيرة؛ ولكنه خالد خلود السماء والأرض.

هكذا المرأة تحيا دور الأنثى على ذكرى هذا الحدث السعيد، عندما سجل هذا الموظف البدين مصطلح أنثى فى أول ورقة رسمية تحمل اسمها.. مسكينة يا امرأة لم تعلم بعد أن الأنوثة إمكانيات ومقومات أخرى؛ غير أحمر الشفاه وعطر البرفان والكعب العالى؛ لأن كل هذه الأشياء ما هى إلا كماليات ليس إلا، أما الأنوثة فن.. إبداع.. دراسة ممنهجة؛ غلافها الدلال البسيط والخطوة الرنانة. إذا علمت وتعلمت المرأة كيف تكون أنثى؛ لم تشعر بالعذاب الساكن داخل هذا الجسد المهشم من كثرة ترميمه بأدوات التجميل؛ وعواميد الأحذية؛ وستائر الجسد الفضفاض.

المرأة كالمبنى الشامخ الذى احتضن داخله متحف به أهم وأقيم

وأثمن اللوحات الفنية؛ لأعظم الفنانين فى الوجود.. وهل أعظم من إله الكون فنان؟! هذا المبدع فى صناعة الطبيعة قد جعل من المرأة منبع الجمال والإبداع والفن، فى المرأة نتعلم التذوق.. بالمرأة ندخل الجنة ونكافأ بها.. ومن المرأة خرجت الطبيعة والإنسانية.. المرأه؟!! هذا الكائن القوى فى ضعفه؛ لم يترك صانعه شئ إلا وجعله بين يديها.. لم يترك إحساس إلا وأسكنه داخلها.. لم يترك جمال إلا وصنعه من أجلها.

الأنثى فى حد ذاتها كائن ضعيف ولكنه قوى جدآ؛ وسر قوته هو ضعفه، المرأة إذا أرادت أن تعترف بأنوثتها بين يدى من امتلك قلبها؛ لابد أن تتمكن من أدواتها.. لابد أن تكتشفها داخلها؛ وأول هذه الاكتشافات هى أن هناك فرق شاسع بين المرأة والأنثى، المرأه هى النوع.. أما الأنوثة فهى منهج.. فن وإبداع لا يتقنه إلا من تخلى عن أنانيته؛ وتحلت به وأتقنت الفرق بين كونها امرأة؛ وأن داخلها أنثى فاتنة لا تظهر مفاتنها هكذا؛ لكل من اشتهى رؤية كعب أحمر كدم الغزال؛ أو حبات الندى فوق ثدييها كحبات رمل الصحراء.

* * *

بطـــه

وسط ثرثرة الستات ومشقة بطه على جسد السيدة النائمة أمامها على أرضية البست الرخام، يصدر موبايل بطه نغمة خاصة؛ مختلفة عن رنته المعتادة؛ وهو ملقى على المائدة الخاصة بها؛ فى الاستراحة الخاصة بالعاملين فى الحمام فقط، ما جعلها تلتفت إليه بلهفة؛ وكأنها انجذبت إلى ساحة رمال متحركة دون وعى؛ اتجهت إليه ونظرت فى الرقم لتتأكد من أسم الطالب القريب منها وإليها؛ وابتسمت ثم تركت الموبايل يرن كما هو على المائدة؛ ورجعت إلى عملها، وحاجبها الأيمن قد رفع إلى السماء بشموخ؛ وكبرياء أنثى أعلنت الحرب على من يحاول اقتحام قلعتها المعتزلة، ولكنها ذهبت مع عقلها فى شروده؛ وتركت مهام عملها لكفيها؛ وأخذت تسبح فى عقلها؛ وتحدث هذا الفارس الذى أشهر سيف معركته؛ وأعلن اقتحام قلعتها غصباً؛ ولم يستطع أن يصل إلى عرش مملكتها؛ ولم ينل مراده من انتصار إلا أنه أسر نفسها هى فحسب؛ بالود والاهتمام والكلام الجميل، لأنه أتقن من خبرته الحياتية فى عالم النساء؛ أن مفتاح قلوبهن فى أذانهن، كلما سمعت المرأة كلام رومانسى حلو؛ كلما ضعفت

قواها؛ وكلما اهتم بها كلما خضع قلبها، وهو يحبها بالفعل؛ ولكنه كان أضعف من أن يواجه عائلته الكبيرة بحبه ورغبته فى الزواج من هذه الفتاة العاملة فى حمام بلدى؛ كثر عنه الأقاويل؛ وتهاتفت عليه من العاهرات الآلاف يهيأن أجسادهن؛ ويزين أعضائهن بالحناء؛ ليخرجوا إلى الشارع أو البارات يصطادون الرجال؛ ليستفيدوا من أموالهم، حتى أن الحنانه تبدع فى رسم الكلمات الإنجليزية؛ على الثدى وأسفل الظهر وحول دقة الحسن الخفية – صرة البطن – رغم أنها لم تصبح خفية على أحد؛ من كثرة ما انكشفت أمام المارة؛ أو فى البارات والملاهى الليلية؛ بين كمر البنطلون والبادى؛ تظهر وكأنها ينبوع مياه خمرى يستمد مياهه من البئر الرئيسى؛ للأنثى الشابه أو حتى العجوز، لأن حتى النساء أذواق لكل منهن مذاقها الخاص؛ إذا كانت سمينة أو نحيفة؛ إذا كانت بيضاء أو سمراء أو خمرية؛ لكل منهن دلالها الخاص ومذاقها المنفرد ولونها الصارخ وهيكلها الشامخ؛ لكل من تمكنت من أدواتها، أما هذا الفارس كان يعشق بطه منذ الشباب، كان يراها سيدته وحبيبته وأميرته؛ رغم ضآلة جسدها وتعليمها؛ ومستواها المادى والاجتماعى، وهو كان شاب وسيم غنى ابن تاجر كبير؛ تاجر حديد يمتلك وكالة تُعد نصف الشارع الموجود فيه الحمام؛ أى أن والده كبير فى السوق وكثير المال والنفوذ؛ وهو

الابن الأكبر وريث المركز والمكانة، ولكن الابن كان يراها كبيرة بأخلاقها وجدعنتها، وهو كان أول حب وآخر حب لى.

كنت أرى ابتسامته لى فى كل صباح عندما أحضر لعملى؛ كأنها بمثابة شمس حياة تشرق لى أنا فقط. كنت أشعر بأنه كان متعمد أن يأتى باكراً؛ ويجلس أمام محل عمله حتى يرانى؛ ويلقى على صباحه المشرق؛ أما نظرة اللهفة فى عينيه؛ عندما يرانى خارجة من الحمام فى غير موعد خروجى؛ كانت تحتلنى وتجعلنى أشعر بنشوة غريبة؛ حتى أننى أصبحت أتعمد من وقت لآخر أن أخرج؛ حتى أرى هذه اللهفة عليه؛ وفى يوم ما خرج خلفى ليعلم سبب خروجى بلهفة، عندها فقد الزمن مؤشِره وغاب الوعى عن عقلى، ابتسمت بحنان غمرنى بالحب عندما علمت منها أنها خرجت لتطمئن على وجودى؛ بعد غياب يومين بسبب سفرى لاستلام شحنة حديد، وعندما علمت من أمى وجوده؛ خطرت ببالى فكرة نسيانى شراء حفاضات الدورة الشهرية؛ وخرجت مسرعة إليه؛ وعندما رأيته أمامى؛ وملابسه متسخة من حمل الحديد على أكتافه العريضة؛ وبعضلاته المفتولة؛ وعرق جبينه حبات لآلئ مغمورة فى بحر غابت أعلاه الشمس رغم اسمرار جبهته.. وقفت أسألها.. وعيناها تجيب.. بلهفة مشتاق غضبت؛ وباحتواء الكون حضنت يدى ليطمئن قلبها؛ ويتأكد قلبى من حبها فى لحظة

صمت غارقة فى الحب الصارخ اعترفنا بالحب؛ وكأنه جريمة ارتكبت حينها أننا نعشق.. نحب.. نتبادل لغة العيون. حتى أن والده أجبره على الزواج من ابنة أحد التجار، فتاة عندما تشعر بالملل تسافر إلى أمريكا؛ وعندما يأتى الصيف تهاجر إلى الساحل الشمالى؛ كالعصفور الذى فقد الهاوية؛ من قرية إلى قرية ومن الساحل الشمالى إلى شرم الشيخ.. إلخ. وهو تحول من حبيب إلى زوج إلى ممول لسفريات الهانم وابنتها، أما أنا قد تحطم فؤادى؛ وثبتت كل الأشياء داخلى حياتى.. عقلى.. قلبى؛ حتى أصبحت أشعر أننى ميتة رغم علم اليقين يخبرنى بوجودى فى الحياة؛ واستجبت رغماً عنى لليقين؛ لكن قلبى رفض هذا اليقين وأغلق على نفسه تابوت الموت؛ وأصبح منفى من الحياة لتصبح نبضاته ماهى إلا مؤشر لوجودى لا غير، أما الآن وبعدما أصبح أرمل؛ بعد ذهاب زوجته إلى العالم الآخر؛ بعدما أصيبت بسكتة قلبيه مفاجئة أثر كثرة تدخينها للسجائر الملفوفة بأشياء أكثر ضرراً من التبغ، وزواج ابنته؛ أصبح يعيد حبه القديم لى؛ ووالده المعلم الكبير يحاول بنفسه أن يجدد ما مر عليه الزمن، تخيل عقله أننى مازلت وبعد كل هذا العمر منتظرة ابنه؛ وأحيا على ذكراه وآمل الرجوع إلي!!

تنظر بطه وهى عند البست على الموبايل وهو يرن من جديد

نفس النغمة الخاصة به.... جاءت مرة أخرى لتساومنى على نفسى؟ ومن أنت حتى تساومنى على نفسى أيها العاشق المغوار، ترى ذاتك داخلى وأنا من خلقت للحرية معنى؛ لا تجادل مع نفس تكره القيود حتى القيود تكرهنى؛ لأننى ولدت هكذا؛ أرى نفسى نسمات هواء عليل لا يسجنها أسوار؛ وكون العالم لا يحجمها؛ لذلك لا تساوم نفسى بالحياة داخلك أنت فقط، أنا داخل الجميع نبضات حب وهواء ربانى يسبح العلى عند كل سجود.. من أنت حتى تلجم من أبدعت فى رسم الهواء على لوحة الحياة أساطير من قصص الحرية والكبرياء.

تمر الساعات كالرحال دون ترك بصمة خطوته على طريق اليوم؛ وهو يوم فريد من نوعه؛ يوم الغرق فى بحر الذكريات؛ والبحث عن حقيقة كل سيدة منهن؛ ومعرفة حقيقة السر فى تغيير مسار الطريق؛ لكلٍ منهن؛ وتبدل طبيعتهن؛ وكأنهم ولدوا على شكل معين وتمنوا شكلٍ آخر؛ ثم أصبحوا شيئاً آخر بالكامل.

هكذا هى الدنيا توهم المرء بشئ؛ ثم توجهه إلى طريق آخر؛ وبالنهاية يكتشف المرء أنه أصبح كما أرادت الدنيا؛ وكأننا مسلوبين الإرادة داخلك يادنيا؛ ونحن نتوهم بأننا أصبحنا كما أردنا وهى إرادتك أنت.

كانت المومس جالسة على الكرسى فى مكان الاستراحة الخاص

بها؛ تنظر إلى العروسة وهى جالسة مع شقيقتها؛ فى الاستراحة المقابلة لها؛ وبينهم بست بطه تغسل جسد امرأة اغتيلت منذ زمن، تخرج من المومس تنهيدة ظهور الذكرى الأبدية داخلها؛ تتذكر أول رحلة جامعية خرجت فيها مع زملائها إلى البحر الأحمر؛ إلى عروس الشرق، وتذكرت عذريتها الأفلاطونية، امتزجت ألوان الله الحية فى مياه انعكس صفاء السماء على سطحها، بين جمال الفتيات ووسامة الصبايا؛ أجلس أتأمل كل ما شهى من الطبيعة وطابت له نفسى الفقيرة من الإبداع؛ أتأمل الجميع وأنظر إلى الخلق؛ وحلقت عينى غصباً عنى إلى آخر الكون؛ أتساءل عن سبب ابتسامة هذه النفس الفقيرة؛ رغم حزن آهاتها وشجن روح تتلوى من اضطهاد الفسق لها؛ ابتسامة ضالة فى موطن مستعمر؛ أظهرت تجاعيد زمن يتسابق على ضفاف نهر المياه القتيلة من كثرة طعنات الفاسدين، وأنا وحيدة أزف الدموع عروساً بكر على من اغتصبت براءتها، ابتسامة كانت دليل على اشتعال نار الغيرة داخلى؛ وأنا وحيدة دون حبيب؛ لأنى رأيتهم وسط المياه الدافئة عرايا من الزى الرسمى؛ يسبحن فى مياه الشهوة المصطنعة؛ يتبادلن القبلات بكثرة ودون داعى، لم أر بعد نشوة الحب فى قبلاتهم أو همساتهم؛ مما جعلنى أستاء جداً من احتلال الشهوة مكانة الحب؛ ولكن لما هذا الشعور بالغيرة؟ شعرت بالغيرة على الحب

أم حرمانى من قبلات علنية؟ يا إلهى على هذا السخف؛ وكأن القدر قد اختار لها الزمن المناسب لتتحول إلى فريسة ممجدة فى شباك هذا الشاب الوسيم؛ عندما قبل يدها حين دعاها وهو لم يكن بينهم سابق معرفة؛ يدعوها لحضور حفل مجانى فى القرية السياحية الأخرى؛ ولها كافة الحرية لتدعو من يروق لها من أصدقائها، وهى ابتسمت لرقى أسلوبه وشفافية نظرته؛ وكانت أول خطوة فى طريق حب أفلاطونى؛ بالفعل استمر ثلاث سنوات؛ يتبادلن الأحاديث التليفونية والمواعيد الغرامية؛ والتحفيز على استمرارها فى النجاح حتى يرتبط بها ارتباط رسمى؛ لأنه لم ولن يقبل أن يرتبط بعروس غير ناجحة، وللحق لقد احتل كيانى وفؤادى بكلماته واحترامه لى؛ حتى أنه لم يظهر إطلاقآ إعجابه بجسدى المتناسق؛ رغم نظراته الجانبية؛ وكأنه يستنشق السيجارة فى الخفاء خوفآ من اكتشاف أمره، وتزوجته دون حتى أن أعطى أهلى حق السؤال عنه وعن أخلاقه؛ وكيف أعطيهم هذا الحق وأنا من عاشرته على مدار ثلاثة أعوام؟! وللحق أيضآ قد أعمانى حبى وارتباطى به أن اكتشف أن حبى له كان شفوى، لمٍ أعرف عنه شئ سوى اسمه وطبيعة عمله!؛ حتى لم أعرف يوماً عنوان مسكنه أو حالته الاجتماعية؛ وأنا كل ما يشغل بالى هو أخلاقه؛ وكانت أخلاقه معى عالية جدآ، ويالللندم حين اكتشفت

حقيقته بعد الموت فى منزل الزوجية؛ وأصبحت جسد دون روح يحركه المادة والرغبة وأحياناً الضرب؛ حتى أصبحت مومس دون جدوى؛ ويالليتنى كنت امرأة آيلة للسقوط؛ كما كانت يسرا فى هذا الفيلم ؛ولكنى سقطت وانهرت دون أن انتبه ليد واحدة حاولت أنقاذى؛ ولا حتى يد ضميرى وأخلاقى؛ لأن العقيدة التى أنشأت داخلها واحتوتنى؛ قد غمرتنى بنعيم جنتها المنتظر فى سماء الشهداء ونكاح الجهاد؛ حتى أصبح الزنا هواية ومهنة توغلت فيها حتى غاصت قدمى فيها دون رجوع أو فرار؛ لأنها أصبحت محترفة بعد انفصالها الغير معلن عن زوجها أصبح يقين، معآ نعيش فى شقة واحدة؛ وبيننا ولد وبنت يحملن اسمه النجس؛ وعفتى داخل وريد دمهم؛ وأنا وزوجى بعيدين عن بعض، احتقره هو.. وهو يشتاق إلي؛ ابتعد عنه هو.. وهو يحارب ليقترب إلى؛ أشفق عليه وهو يحسد تلميذته التى تتلمذت على يده وتحت إشرافه؛ وبالنهاية تمردت عليه حتى تأسس مدرستها الخاصة بها؛ بعدما أخرجت تصاريح النشاط من إدارة الآداب.. نعم تمردت عليه حتى أتحرر من تحكماته وقراراته وابتزازه لى؛ حتى أننى أصبحت باقة ورد ترسل من قوادةً إلى عاهرةً؛ يسجن رحيقها داخل جسده العفن ليتجدد نشاطه من جديد، يحيا العاهر من زهور بستانى وأموت أنا دهساً تحت أقدام الشهوة. وأنا هكذا

بين المومس والعذراء؛ أقف بينهم استقبل النظرة الأولى بحسرة على عذريتها التى اغتيلت باسم الزواج؛ وهو سترة البنت؛ وبين نظرة المستقبل القادم على عذراء جديدة؛ تدخل قصر الزوجية لتعطى لأبويها قطرة الشرف؛ السائل من مكان خفى عنى؛ رغم أنه معلن للجميع؛ والجميع يعلم أنه غداً يوم اغتصابى علناً أمام مرأى ومسمع الجميع؛ من رجل لم أرغب فيه يوماً؛ وكثيراً ما شعرت بالكبت والقهر كلما رأيته أمامى؛ أو لمس يدى؛ ولكن لإرضاء أهلى وافقت عليه رغماً عنى.

غداً سوف يصبح يوم الاغتصاب العلنى من رجل يمتلك المال تحت ما يسمى زواج، عقد تنازل عن آدميتى وكينونتى للرجل يمتلك من المال ما يخفى ويزين نقص الفحولة؛ وضآلة فكره؛ وصغر عقله بحكم تقدمه فى السن؛ وانشغاله فى جمع المال وأنا.. أنا الضحية أم المستغلة من قبل أسرتها؟! أنا من دفنت حلم تفوقى وتقدمى التعليمى فى كتاب الذكريات؛ وأصبح ماضى رغم أنه مستقبلى الذى أحاضره اليوم؛ واليوم أصبح ماضى يا دنيا لما كل هذا العناء لفتاة لم يتخطى عمر خطوتها على طريقك الثمانى عشرة خطوة؟ لم أتذكر خطواتى الخمس الأولى؛ ولكن منذ التحاقى بالمدرسة فى سنتى الأولى وأنا أداعب خيالى بالتحليق إلى أعالى بحار النجاح؛ لأنه كان منقذها الوحيد من تحكمات شقيقها ؛وضرب

شقيقتها الكبرى لها باستمرار؛ حتى تثبت وجودها، لذلك كنت أهرب من التحكمات والمشاجرات المستمرة فى البيت إلى المدرسة؛ أتعلم.. ألعب.. ألهو مع ضفائر طفولتنا فى فناء المدرسة؛ وأحلامى كانت تداعب شغفى على الذهاب سريعآ إلى الكبر؛ إلى سن النضج لأصبح مسئولة عن تحقيق أحلامى. تبتسم العذراء وهى جالسة على الأرض فى استرخاء مشبع بحب الطفولة؛ وتغلق عيناها على ذكراها السعيدة الوحيدة المحتفظة بها داخلها؛ حتى لا تتبعثر على الملأ ويراها كل من خرج من مخيلة حياتها؛ احتفظت بذكرى طفولتها داخلها وهى طالبة الإعدادية؛ وتسترجع آخر مقطع كتبته على حائط الفصل؛ كنوع من الذكرى الخالدة المدونة على جدران ومقاعد المدرسة، وهى عادة غريبة فى جميع مراحل الطلاب والطالبات فى المدرسة؛ ينقشوا ذكراهم مع زملائهم على الجدران وتدوين أحلامهم؛ أحلام مزخرفة بحروف الطفولة والعفوية على الجدران كالنقش الفرعونى؛ ولكنه غير مرتب لأنه لم يمتلك الدراسة الوافية ليصبح خالدآ.

الخلود صناعة اسم قائم أزلى فى عمل فنى أو عملى أو إبداعى أو حتى إجرامى؛ ولكن أهالينا هم فقط من يضعون خلودهم من الأنجاب وليس بالعمل الصالح المفيد؛ بالإنجاب فقط يستمر اسم العائلة وتستمر السلالة البشرية؛ لذلك لابد من الزواج والإنجاب؛

وملعون الطموح على الأحلام؛ ورسم المستقبل بالقلم الرصاص على طائرة ورق تحلق بأحلامنا إلى أعالى السماء تترجى إلاهنا أن يساعدنا فى تحقيقه؛ حتى لو كان نهاية مستقبلنا هى الموت المحتم؛ لأننا بالنهاية جميعنا أمواتً على أرض الفناء، وقبل أن تسبح فى بحر ذكرياتها ينجذب انتباهها إلى يد شقيقتها؛ وهى تمسك بها وتيقظها من أحلامها الطفولية؛ لتنبهها أن المغطس أصبح شبه خالى؛ ولابد من الدخول حتى تتفتح بسمات جسدها من بخار المياه الساخنة.

أما بداخل المغطس وفى حضن المياه الساخنة؛ كانت المعلمه والجامده والحسناء جالسات؛ أما الاستعراضيه كانت جالسة على الأرض خارج المياه الساخنة؛ ليستنشق جسدها بخار المياه الساخنة؛ ليشبع من حرارة الغلاف الجوى المصطنع؛ مادام جسدها قد تم حرمانه من الشعور بالدفء الجسدى فى أحضان عشق الجلوس؛ أمامها يتأمل ابتسامتها البيضاء وبراءة عيناها؛ وحرية خطوتها الملكية وهى تسابق الزمن فى اللحاق بالموسيقى النوبية. وعند دخول العذراء إليهن تصدر الاستعراضيه ضحكة داخلها؛ كالقنبلة فى أحضان أعماق المحيط تنفجر؛ تصدر اهتزاز مرتعش مع ابتسامة خافضة على حالها؛ لأنها شعرت بالشفقة على هذه العذراء. لأن العذراء كانت تتحدث فى الموبايل الخاص بها؛

خارج الحمام الساخن؛ وتبكى على حالها القادم؛ وتعلن حزنها على من تحدثه؛ وهو كان حبيبها منذ سنتها الثانية الثانوية. كان حب مراهقة. هذا الحب العفوى البسيط؛ أول ابتسامة لشاب يتابعها بعينيه؛ ويبدى إعجابه بجمالها المحدود. أول موعد ملقى فى ورقة بيضاء داخل حقيبتها المدرسية؛ وكأنها سقطت منها دون وعى؛ لتعلم من مرسالها الأبيض أنه يريد أن يراها بعد موعد المدرسة؛ لينظر عن قرب ابتسامتها الرقيقة. أول حضن يجمع اليدين. أول شجار على نوعية ملابسها لأنه يخاف عليها. وأول فراق بينهم لأنها رأته ينظر الى زميلتها؛ وهى تغير عليه بشدة؛ لأنه أول حبيب.. أول اشتياق.. وكلمة.. ولمسة.. أول كل الأشياء دائمآ تكون ذو مذاق خاص وخلاب؛ يغلب عليه الاشتياق وحب حتى لو كان فراق. وهذا الحبيب الحزين كان يبارك زواجها فى الموبايل قبل أن يحذف رقمها الخاص. قبل أن تصبح ملك رجل آخر. قبل أن تدخل عصمة رجل لأنه استعابا منه معنى اشتباك اسمها باسم رجل. حتى عندما كان يخرج معها؛ كان مثال للرجل الشجاع المحترم الذى لم ولن يخون الأمانة أبدآ؛ وهى بين يديه أمانة رغم أنها حبيبته. ولكن شرف الرجال مصان.

رأت الاستعراضيه عفويتها الطفولية فى هذه العذراء التى يسابق الزمن المكان لتدخل سجن الزواج الأبدى مع سجان حريتها

الطفولية وهو غريب عنها؛ حتى لو كان تطوع رغماً عنه باسمه لها هى عذراء هذه الحياة الكريهة.

لم تذهب الاستعراضيه إلى ذكرياتها لتبحث عن حبها العفوى الذى رأته فى العذراء؛ ولكنها ذهبت على جناحى عقلها إلى مستقبلها الماضى؛ وتساءلت عن حالها إذا كانت قد استسلمت لأهواء أهلها؛ ولحديث أهل مدينتها الجارح كالسكين الحاد؛ وخضعت لإغراء كل من قدم لها ما شهى وطاب لتقبل الزواج منه.

هل كان حالها سوف يصبح مثل حال هذه العذراء الحزينة؛ التى تجمع الجميع واتفقوا على إتقان ظهور مفاتنها الأنثوية؛ وتجهيز عقلها وجسدها؛ حتى روحها لتصبح عروساً مثالية؛ أم أن حالها الآن وهى عذراء سعيدة بعذريتها أفضل لها؟! الحياة دون شريك أو أن تبدل شريك يتنفس رغبات وأنانية أفضل من الحياة مع شريك آخر – وهو الفن– أفضل؟ التضحية من أجل الفن والحياة الحرة أم التضحية بالحياة فى منزل الزوجية مع شريك غير مرغوب فيه من قبل روحها وإنجاب الأطفال كان أفضل؟ الغريب أننى رأيت فى عين الاستعراضيه دموع ملء سماء الأرض بالأمطار؛ وعلى شفتيها ابتسامة رضا.

هكذا تظل المرأة فى حيرة وتناقض بما تريده وبما تمتلكه وتضحى به فى سبيل الحياة؛ وبالنهاية تظل الحياة هى الحياة

لا تبالى بما يسبح فى أذهان البشر؛ مادامت مستمرة؛ والبشرفيها يتجددون كأمواج البحر يجدد فى أحشائه؛ والأسماك لا تهتم ولا تحصى عدد الأمواج ما دامت الحياة داخلهم مستمرة.

والملفت للنظر هى المعلمه وتنهيدة صدرها النابعة من رحم أمومتها، كانت المعلمه جالسة فى المياه؛ ترتب داخل عقلها خطوات زواجها القادم؛ وهو قادم عن قريب جدآ.. فهو اليوم؛ اليوم سوف تصبح عروسآ للمرة.... لا أتذكر عدد الزيجات لأنهم كثرآ جدآ، ولكن المعلمه قد رأت فى العذراء ابنتها؛ وتمنت أن تراها فى الفستان الأبيض..

المعلمه: دا أنا هعملها فرح يتحكى ويتحاكا عليه..

هكذا وجهت المعلمه الكلام إلى الاستعراضيه

المعلمه: بس لما تخلص تعليمها الأول وتتخرج من الجامعه

الجامده: المهم تجوزيها للى بتحبه ودا أهم من الشهادة

الحسناء: وأيه فايدة الجواز من اللى بتحبه بدال هو مش قادر يسعدها؟

جلست أنا والعذراء بجوار الحائط مستمعين وأنا لأول مرة أجلس مستمعة ومستمتعة هكذا؛ لأنى لم أصادف يومآ حوارآ يجمع بين سيدات مختلفات عن بعض فى كل شئ؛ وكأن المغطس يساوى الجميع بالبعض كالسرير الجميع متساويين فيه، لم يفرق

الجنس بين الدكتورة والميكانيكى ؛ أو بين مستشار قضائى وخادمة ؛ مادامت الرغبة ولدت داخلهم وتملكت منهم النزعة الجنسية.

الاستعراضيه: وهو إزاى يكون بيحبها ومايسعدهاش؟

الحسناء: الحب زى البحر إما تستمتعى بيه من بره وإما تدخليه.. والمصيبه لو مكنتيش بتعرفى تعومى – هنا يظهر الحنان على نبرة صوتها –لأن ولا البحر استمتع بدفى جسمك ولا أنتى عرفتى تجيبى آخر البحر فى متعتك ! !

تستوعب المعلمه قصد الحسناء وترجع إلى الخلف فى استرخاء ؛ وهى تتنهد متعة..

المعلمه: آآآآه لو ربنا رزق بنتى واحد بيعرف يحب ويعوم ؛ هتكسب الدنيا واللى فيها.

يبتسمن جميعآ لأمنية المعلمه لأنهم أدركوا من تنهيدتها معنى الحياة فى قلب البحر ، وتنظر الحسناء إلى الجامده نظرة تساؤل..

الحسناء: وأنت؟

الجامده: أنا؟ أنا اتعلمت العوم فى البحر بس من غير ما احبه ؛ لدرجة أنى بقيت محترفه فى العوم ومن غير ما احبه.

تضحك الاستعراضيه ضحكة عالية لفتت نظر الجميع..

الاستعراضيه: أنا بقى حبيت بس مجربتش العوم.

يضحكن جميعآ إلا العذراء لأنها لم تستوعب معنى كلامهم ؛

ولا فهمت أنهن يتحدثن عن الجنس والعلاقات الحميمية.. أما أنا استكفيت بابتسامة سخرية على حال الجميع.

لم تجد بطه ما يسعف ذاكرتها أمام ادعاء المومس بالراحة حتى تسعف دمع عيونها من سجن جفون المومس على حالها وما توصلت إليه؛ إلا أن بطه طلبت منها أن تتجه إلى المغطس البارد لتجلس فيه بمفردها؛ حتى تطيب جرح كرامتها الذى ينهش داخلها كالحمل الوديع الذى يتعلم كيف يكون أسد؛ ولم يجد هذا الحمل الوديع أى جرح الأهانة إلا كرامة المومس ليتعلم فيه؛ وهى لم ولن تختار الغابة لتنبت فيها شجرة أنوثتها ولكنها فأجت بها، أى أنها فى غفلة منها اكتشفت أن قدمها قد غرزت فى حى اللهو المباح والمتعة المباعة.. وقفت عند ضفاف النهر الحائر؛ تمسك برأسها يكاد أن ينفجر كالبركان وهى ترى فى أمواج النهر مراحل عمرها؛ وهى تهب مع الريح وتصدم فى جدار واقع كالصخر؛ صلب كالحديد؛ لا يشعر بإحساسها وهى تودع الحياة الجميلة بالآلام، تتساقط دموع عيناها من بئر ملئ بالحسرة والحزن والإحساس بأمر الأحاسيس؛ وهو إحساسها بالإهانة؛ إهانتها كأنثى، وترى نفسها بين نظرات المارة والمتربصين لها كالشجرة المليئة بثمر التفاح؛ الكل يريد قطف ثمار جمالها ليلتهمه دون مراعاة أحاسيسها؛ وكأن هذه الشجرة جماد بلا روح، تصلب عيناها بتركيز على أمواج النهر

من جديد؛ وترجع مع أمواجه إلى بداية حياتها حين كانت صغيرة تلهو وتمرح مع ابتسامة مشرقة للحياة؛ ويلهو قلبها مع قلب الأمير وتسافر معه على بساط الحب إلى مدينة السندريلا ليذوب جسدها الناعم الرقيق بين أحضان العشيق على أطراف المدينة؛ لترجع هى إلى الواقع المرير بأنها أصبحت مطمع للجميع؛ وسلعة رخيصة تباع لمالك المال الكثير؛ بعدما فقدت مع كرامتها هويتها؛ لتصبح شجرة تفاح مزروعة وسط حى اللهو والمرح المباع للطالبين الإشباع. ترجع هى بعد رحلة الذكريات على يد جائع مشتاق؛ ترسم الابتسامة ويلمع التفاح.

هكذا رأت بطه حياة المومس داخل مخيلتها، كله عرض وطلب؛ والمومس أبدآ لم تطلب المتعة أو اللهو؛ ولكنها كانت سلعة معروضة فى سوق اللهو؛ وكانت سلعة مرغوبه لكل من رآها واشتهى براءتها قبل جسدها.

دائمآ ينجذب الرجل إلى البنت البريئة الضعيفة؛ لأنها تشعره بقوته وتثير داخله رجولته، لأن البراءة فى حد ذاتها نوع من أنواع الضعف؛ وكانت ومازالت تظهر المرأة فى ثوب الضعف ببرائتها ؛ كما يطلق دائمآ على جنسنا الأنثوى بالجنس الضعيف؛ ونحن لم نر يومآ أو يعترف علنيآ أن ضعف المرأة هو مركز قوتها؛ كما أن قوة الرجل تنهار وتنصهر أمام المرأة.

بالفعل تستجيب المومس لاقتراح بطه؛ وتدخل المغطس البارد؛ وهو يشبه الكهف تماماً؛ بابه عبارة عن مدخل ضيق للغاية؛ والانحناء لدخوله مطلب أساسى؛ بعد دخول المومس المغطس؛ تخطو المومس خطوتها الأولى درجات السلم إلى أعلى؛ وكأنها تعيد أيامها الماضية فى طريق الحياة، خطوة ثقيلة رطبة مليئة بالموت؛ وكأن الحياة غادرت هذه الخطوات فى طريقها.

المغطس محاط بالجير وقبته تشبه رحم الأنثى؛ دائرى وممتلئ بالمياه؛ ومياه هذا المغطس بارد شبه الجليد؛ والمياه فيه صافية هادئة فى حوض كبير لا يبالى باجساد الموتى فيه؛ لأنه مغطس الإنعاش؛ يدخل فيه الجسد الملتهب من وهج بركان المياه الساخنة؛ والدنيا الجهنمية؛ والحياة الجحيمية لينعش الجسد؛ ويغلق مسام التعب؛ ويجدد تنهيدة العالم ليستعيد الجسد حيويته ليتقن فن الحياة داخل العالم، ولكن نظرة المومس إلى المياه كانت مختلفة؛ مليئة باليأس والحزن؛ ليس من المياه ولكن من صورتها المنعكسة فيها، صورة جسد مشوه وكيان محطم وقلب مهمش، استحقرت صورتها فى المياه الصافية؛ كما استحقرت المياه لمواجهتها بصورتها على طبيعتها؛ وطبيعة الصورة هنا ما هى إلا انعكاس لطبيعة حقيقتها فى ذهنها؛ فى المرآة تظهر الصورة كما هى؛ نفس الملامح؛ نفس الأنفاس؛ نفس الروح ولكن نظرتنا

نحن تختلف من الحين للآخر؛ من يشعر بالسعادة يرى فى المرآة ملامحه جميلة؛ ومن شعر باليأس يرى الحزن يكسو ملامحه، والمومس رأت فى المياه ما كانت تشعر به بالفعل داخلها؛ كائن ملقى قتيلاً والدم يسيل منه دون جدوى؛ ولا منفذ؛ ولا معين؛ وبالنهاية تنزل المياه دون أن تشعر ببرودتها؛ أما المياه قد شعرت بسخونة جسدها؛ وتنهيدة قلبها لما شعر به من انسحابه فى المياه الباردة؛ والغوص فى أعماقها؛ وكأنه جمرة نار ملتهبة ألقت فجأة فى حيرة مياه متجمدة، واسترخت أعصابها وأغلقت عيناها وتاهت يدها بعيد عن جروح جسدها، تجمدت جميع حواسها فى المياه الباردة وكأنها دفنت فى تابوت فاقد للتهوية؛ لا تشعر بشئ حولها؛ والمغطس بالفعل منعزل عن الحمام تماماً؛ لا يحتوى إلا على صدى فقاعات المياه وهفوات الحياة التى بداخله؛ وللأسف كانت المومس فى هذه اللحظة قد أستسلمت للموت؛ أو بمعنى آخر قد أختارت بإرادتها أن تفارق الحياة بأكملها؛ حتى لو للحظات قليلة تستنشق هواء عليل ونسمات رطبة.

الدلوعه جالسة كما كانت على الكرسى الخاص بها؛ مندمجة مع السيدات الغرباء عنها؛ ولكنهم جيران فى هذا المكان الذى يتوافد عليه جميع أنواع وصفات السيدات من جميع الطبقات والألقاب. ومن أهم مميزات الدلوعه أنها شخصية اجتماعية بصورة

مزهلة؛ لذلك لم تجد يومآ صعوبة فى التعرف على ناس جديدة أو الغرباء عنها؛ حتى الغرباء يندمجون معها بسهولة دون أن يشعرون معها بالغربة، تضحك الدلوعه وتتحدث مع الغرباء؛ والزحام أشتد وتضاعف فى الحمام.

حركة سريعة مريبة حدثت فجأة فى الحمام دون سبب؛ صوت أغانى السماعات وضحكات السيدات مع دردشتهم؛ جعلت من الحمام سوق شعبى مزدحم؛ والدلوعه وسط الزحام تتوه خطوتها داخل الحمام الذى اقتحم عقلها فجأة من ذكريات قديمة؛ وأحداث جديدة؛ ومصاريف أولادها للمدرسة؛ ومشاجرة أمها مع شقيقها الأرمل ليتزوج مرة أخرى؛ وهو له مواصفات محددة فى الزوجة القادمة لابد أن تتوافر فيها؛ ومن أهمها أن تكون عذراء؛ وتكون غاية فى الجمال؛ ولم يهتم بالأخلاق والطيبة ليأتمنها على أولاده من زوجته المتوفية؛ مع العلم أنه لا يمتلك هو شخصيآ أدنى ميزة يمكن إزاء العذراء الجميلة بها لتوافق عليه – ميدو رجل فى الثلاثين من عمره؛ ملامح وجهه متداخلة فى بعضها من كثرة إصاباته فيها؛ ليثبت وجوده فى المنطقة العشوائية التى يسكن فيها هو ووالدته وشقيقته الدلوعه؛ وجميع عائلته الكبيرة؛ بجانب أنه يمتلك حرفة؛ ولا يمتلك من التعليم إلا كتابة اسمه فقط؛ ورغم كل هذا يطلب أن يتزوج من عذراء جميلة؛ وهو يمتلك

من الأولاد أثنين وبنت؛ وتكون العذراء جميلة مع العلم أنه لا يمتلك المال الكافى ليقيم هذا الجمال ! وسط هذا الزحام فى عقل الدلوعه؛ يظهر زوجها وحده؛ تراه وكأنه عريس جديد يبتسم لها؛ ثم يتجه إلى فتاة جميلة؛ تداعبه وتقبله فى شفتيه؛ وهو يضع خاتم زواجه منها فى أصبعها.

زوج الدلوعه سوف يتزوج امرأة أخرى؛ برضاها أو غصباً عنها! سوف يتزوج من فتاة تشبعه دلال وجنس ساخن مندمج مع شغفه الملتهب؛ مادامت الدلوعه لم تتعلم بعد فن الجنس.

ولأنى لا أترك أنثى تغيب عن بصر الحياة والمتعة؛ أجالسها برفق الصديقة؛ وأهمس فى أذنيها بهدوء..

أنا: من حقه يتجوز واحدة تانية بدال أنت مش عارفه تكيفيه

الدلوعه: وأنا هعمل أيه بس؟

أنا: ادلعى عليه.. شبعيه.. الراجل معروف أنه طفص فى الأكل والنوم؛ وهو مش هياكل أكتر من طاقته؛ بس لو الأكله بارده مش هيعرف يستطعمها.

الدلوعه: وأنا أسخن الأكل إزاى بس؟

أنا: قلبى الأكل على النار وغيرى الوضع من نفسك؛ مرة تهدى النار ومرة تشعلليها وهو هيستوى لوحده وياكل بمزاج.

الدلوعه: ولو اتجوز عليا؟

أنا: الراجل طول ما هو شبعان فى بيته عمره ما هيبص بره.

تتجول عين الدلوعه فى أركان الحمام؛ تبحث عن من كانت تحدثها؛ وهى لا تعلم أنها تحدث الأنثى التى تسكنها؛ وكأنى غريبة عنها رغم أننى أحيا داخلها وداخل كل النساء؛ ولكن من تستدعينى من داخلها تجدنى.

وفجأة تصرخ الدلوعه فى بطه؛ بلهجة امرأة تذكرت فجأة أنها أنثى ممتلئة دلال وحب..

الدلوعه: ما تخلصى يا بطوط عايزه اروح.. الراجل هيرجع كده قبلى.

فى الاستراحة الأخرى التفتت المنحرفه إلى الدلوعه وهى تحدث بطه بدلال؛ وتنظر المنحرفه إلى الدلوعه؛ وكأنها اكتشفت نوع أخر من الأنوثة، نوع لم يظهر بعد؛ وذهبت المنحرفه إلى بطه بعدما أشعلت سيجارة؛ ووقفت خلف بطه ووضعت السيجارة المشتعلة فى فم بطه؛ وهى تكيس إحدى السيدات؛ وتهمس لها وهى تنظر إلى الدلوعه..

المنحرفه: مالها دى؟

تبتعد بطه عن حضن المنحرفه الخلفى؛ وهى تخرج دخان السيجارة؛ ونظرة الخبث فى عينيها..

بطه: أتلمى.

المنحرفه: وماله أتلم.

وتصطنع المنحرفه أنها تبحث عن زجاجة مياه لتروى ظمأها؛ وتتجه إلى الدلوعه وتجالسها وهى تشرب من زجاجة المياه الخاصه بالدلوعه؛ وحتى لا تظهر فى زى قلة الذوق؛ عرضت المنحرفه على الدلوعه سيجارة؛ والدلوعه ترفضها حتى لا تفسد ابتسامتها وترهق رئتيها؛ وهى تجهز فى ذهنها جلسة فرفشة مع زوجها؛ فيها قميص نوم أسود والبيرة ومعسل قص.. هنا بالطبع تشتهى المنحرفه هذا الحوار الشيق عن جلسات الفرفشة التى تجمع بين سيدة بهذا الدلال مع زوجها.. أكيد هى جلسات شهية ممتلئة بالإثارة.. وكانت الدلوعه شهيتها مفتوحة للحديث عن الإثارة والجنس؛ وبالأخص الحديث عن زوجها البارع فى المداعبات وممارسة الجنس مع من يعشقها، لذلك اندمجت المنحرفه مع الدلوعه؛ واستفاقت جميع حواسها لتستقبل هذا الحديث المشوق، حديث يجمع بين الليل والنهار فى ساعة واحدة فقط؛ تفقد فيها نبض الزمن وكأنه لم يعد ذو أهمية فى لقاء لم يكتشف بعد؛ لم يأت بعد ولم ينته، لقاء بين ملكة الحب وفارس العشق؛ لقاء يجمعهم فى ساحة قتال عن من يكون الأقوى فى غزل حبات الحب على ستائر الليل؛ لقاء فى غرفة لا يوجد فيها سواهم والقمر يتطفل عليهم من نافذة الكون؛ ليكون شاهد عيان والحكم فى هذه المبارزة العاطفية على سرير العشق العملى؛ فى الهواء

وكأن الجاذبية لم تكتشف بعد؛ أو أنها اتلغت من قانون الكون العلمى.. هنا فقط يفقد الطرفين كل شئ وجميع الأشياء؛ فى هذا اللقاء الشيق الذى يجمع بين عاشقين للحب؛ لا يهم من هو الفاعل ومن المفعول به؛ من القائد ومن المقاد؛ من الموجب ومن السالب؛ لقاء يجمع بين روحين فقط.. لا جسد.. لا عقل.. لا نفس.. لا ذات.. لا شئ سوا روح تحلق مع رفيقتها فى السماء؛ حتى أنهم يفاجأوا بعد رجوعهم من هذا اللقاء الروحى بكل ما حدث؛ ولكن لا يحدث هذا الأندماج إلا مع أثنين يعشق كل واحد الآخر بمعنى الكلمة؛ مع اثنين يجمع بينهم شئ واحد وهو التكافؤ فى المستوى الإنسانى والعقلى والعاطفى؛ حتى أنهم لم ولن يكتشف أحدهم من كان بالأعلى ومن كان بالأسفل؛ من كان يقود هذا الاتحاد؛ لأن ببساطة الاتحاد هو التوغل كلآ على سواه؛ يصبح الاثنين واحد فى روح واحدة؛ وكأن المكان ألغى والزمن إمحى من الذاكرة المسكونة.

تندهش الدلوعه والمنحرفه من وصفى لحقيقة اللقاء؛ ووصف العلاقة الجنسية بين العاشقين؛ وكأنى من كوكب آخر؛ تتحدث عن شئ غريب مع كائنات مختلفة عنى؛ وأنا مختلفة عنهم؛ ولكن الحقيقة هى أننى داخلهم؛ ولكنى حبيسة قبر الخجل والاحترام؛ ولكن سؤالى القاتل يفرض نفسه.. إذا لم ألبى رغباتى بحرية مع زوجى إذآ مع من ألبيها؟ إذا كنت أخجل من زوجى وأدعى عدم

المعرفة حتى أظهر بصورة المحترمة ذات الأخلاق الحميدة ! ! وكأن المعرفة إثم سوف أعاقب عليه دنيا ثم آخرة؛ أتعامل مع من على طبيعتى لألبى رغباتى الطبيعية؟.

من أهم وأقوى مميزات الحمام أن الجميع فيه لايشعرون بالغربة مع بعضهن؛ يجمع بينهم الكثير من الأشياء المشتركة؛ من تشابه أجزاء الجسد مروراً بالأحاديث المشتركة عن الرجال والجنس؛ حتى معانتهن لإرضاء هذا الشريك الآخر.

تتغير أنواع الأحاديث ولكن المضمون واحد؛ كل المواضيع فيه تصب فى نهر واحد؛ وهو نهر الجنس التى تتحد فى وقت محدد؛ أيآ كانت العلاقة التى تجمع بين الجسدين لأن بالنهاية الجنس يتم برضا الطرفين؛ إذا كانوا متزوجين أو عاشقين فقط؛ حتى العاشقين تجمعهم رغبة قوية فى الجنس لأنها ناتجة عن فيض مشاعر الحب التى تجمع بينهم؛ وبالتالى تصبح تدريجيآ أجمع وأشهى العلاقات؛ لأنها نابعة عن رغبة قلبين لا جسدين؛ أو رغبة رجل اشتهى جسد امرأة أمامه؛ وأنما اشتهى أن يلمس جسد امرأة يعشقها؛ أن تحضن هى هذا الجسد لتتذوق داخله معنى الدفء.

الحديث عن الجنس بين العاشقين يطول؛ ويمكن أن يتفرع كالشجرة المثمرة؛ حتى ينحرف الحديث وتضيع معانى الشعور والإحساس؛ ولكن الحديث المقصود هنا؛ هو حديث عن عشق

حقيقى يجمع بين قلبين؛ بين عقلين؛ بين شخصيتين حدث بينهم تكافؤ فكرى؛ ثم اتحاد جسدى ورغبة فى انصهار الجسدين داخل بعض؛ ليتم الاتحاد ويكون الكمال؛ كما كان فى الشخصيتين يحدث أيضآ فى الجسدين؛ لأنه لا يعلم أحد معنى الجنس الحقيقى ومتعته إلا العاشقين؛ إلا اثنين يجمع بينهم فكر وشخصية وقلب واحد؛ مشاعر وتفكير وحياة واحدة.

جلست الدلوعه مع المنحرفه لأول مرة فى تاريخها الطويل داخل هذا الحمام تحدثها عن حياتها الخاصة؛ وكأن آن الأوان لخروج شخصية الدلوعه من سجن الجمود إلى الملأ؛ بعدما اكتشفت باب دخول الحياة المفعمة بالعشق الساخن مع زوجها؛ بعدما أدلتها عليه الأنثى التى بداخلها، عند اكتشاف المرأة عيب شخصيتها؛ يبدأ عقلها فى ترميم هذا العيب دون أن تشعر المرأة أو تدرك وقت التغير؛ وهذا ما يحدث للدلوعه؛ لذلك هيأ عقلها بسرعة البرق حياتها القادمة؛ بعد خروجها من الحمام؛ وقد رتب لها داخل ساحة فكرها مشهد الليل فى المنزل؛ بعدما تترك أولادها عند والدتها ليظلوا هناك، سوف تصنع له أكثر أنواع السمك شراهة؛ وترتدى القميص الحرير الأسود؛ وهى تعد الطعام له؛ وتنظر إليه برغبة سعيدة فى عينيها؛ تبعث له برسالة عشق آتى بعد قليل؛ ولابد من الاستعداد له؛ لأنها تعرفه جيدآ قد زينت غرفة الصالون

بالفاكهة المناسبة لزجاجات البيرة الساخنة؛ لأنه يفضلها هكذا؛ مع جمر الشيشة المشتعل؛ وموسيقى أم كلثوم التى ترقص عليها؛ بعدما بدلت قميصها الأسود بآخر أحمر دانتيل أظهر من مفاتن جسدها أكثر ما خبأ؛ وتتمايل عليه وتبتعد عنه؛ تتدلل عليه وهو يزداد من جمرة الشيشة نارآ؛ ويجلسان سويآ؛ تأخذ من الشيشة نفس انتعاش؛ وتخرجه فى اتجاهه؛ ليمشط شعر صدره؛ وهو يشرب من البيرة الكثير؛ حتى شعرت بالغيرة لأنه اهتم بالبيرة أكثر منها؛ ولكنه كان يزيد بمياه الكحول نار نشوته المشتعلة داخله؛ وهى تداعب شفتيه بقبلات متتالية؛ ويدها تغوص فى شعر رأسه؛ وهو مندمج معها تخرج يده إلى صحراء جسدها؛ تبحث عن بئر الحياة؛ ولكنها تبتعد عنه وتعلن أنها لن تفتح هذا البئر له؛ إلا بعدما تعلن بكل حواسك ورغبتك عشقك؛ لكل حبة رمل فى صحراء جسدى. وهو.. يا إلهى على هذا العاشق. بالفعل يعشق كل حبة رمل فى جسدها؛ ويموت عشقآ كل دقيقة يراها فيها؛ ليأخذ فرصة ليصنع من كل حبة رمل زهرة برية تنمو وتترعرع له هو فقط؛ تكون الزهور حية له هو فقط؛ من حقه هو فقط؛ هو فقط يعرف مكان كل واحدة فى مكانها المخصص باسمها الذى يختاره لها ؛ولكنه منتظر أن تأتى اللحظة التى يندمج فيها مع جسدها بكل قوته وقوتها حتى يحبحوا واحد فى الزمان

والمكان والحياة؛ واحد فى النفس والنظرة والفكرو والإنسانية، ولكنك لا تعطينى فرصة لأتوغل داخل محرابك؛ وأبحث عن معنى السعادة؛ وأجول أركان كونك الخاص لأعثر عن مفتاحك؛ لاستطيع أن أحميكى من نفسك؛ وتخرجى من وجود عقلك الغبى؛ وأدخلك جسدى لترى ما هى الحياة داخل حضن هذا العبد الفقير؛ ولكنه يعشقك؛ وأنت جافة معه وهو يصبر ويصبر عليك؛ أملآ فى فرصة اغتنمها.

وها هى الفرصة سوف تأتى الليلة ضيفة شرف؛ أرجو أن تغتنمها حقآ؛ وتدرك كيف تصنع من الثلج مياه تغلى من الوهج.

الحديث خرج من عقل الدلوعه مرسوم بالصوت والصورة؛ وكأنه فيلم سينمائى؛ اترسم على شفتيها متجسد فى كلماتها؛ مع نظرة المنحرفه لها بإعجاب واندهاش؛ أدركت الدلوعه أن الكلام لم يخرج منها هى وأنما خرج من عقلها الباطن؛ وكأنه فيلم يتحول إلى أمنية تراها وتتمنى أن تحققها؛ بعد كل لقاء يجمع بينها وبين زوجها فى ليل الجنس؛ ولكن عجزها عن تحقيقه قد أدركته بعد حوار الأنثى معها داخل عقلها.

أدركت أيضآ أننى بالفعل داخل كل امرأة؛ ولكنى موجودة فى مكان مجهول داخل عقولهن؛ وعليه الآلاف والآلاف من المشاكل الأسرية؛ والثرثرة الفارغة؛ وأحداث وشوائب البلد وما يدور

فيها. كل هذا وذاك لا تدركه المرأة؛ أنه من أهم أسباب إصابتها بالبرود مع زوجها؛ حتى لو كانت المرأة قد فقدت بظرها؛ فهى تمتلك مقومات أخرى شديدة الأهمية؛ تشعرها بالنشوة والرغبة فى العلاقة والمتعة؛ ولكن المتعة مشتركة بين الاثنين.

إذا كانت الحسناء أصيبت بالبرود رغم أنها مفعمة بالرغبة والشهوة؛ بسبب أنانية زوجها لا يجعلها متبلدة المشاعر؛ ولكن لكل فعل رد فعل؛ وهو كان من أغبى الرجال لأنه أنانى؛ والأنانية نتيجتها الغباء.. الغباء فقط، حتى فى حديثها مع المعلمه والجامده والعذراء؛ لم تدرك أنها قد زادت من سخونة المياه سخونة أكثر من وصفها للأنثى – الأنثى وليست المرأة – حتى شعرت الجامده بيد الحسناء وهى تتحسس المياه بجوارها؛ ولكن بطريقة شاعرية؛ قد جعلت من جسد الجامده قطعة حديد تنصهر دون إدراك أحد؛ حتى الحسناء؛ لأن الجامده كانت مفتقدة أيضاً اللمسة الانسيابية من يدى جميع الرجال التى عاشرتهم كأزواج شرعيين أو عرفى، افتقد هذه اللمسة الحانية الهادئة على جسد مشتعل ليهديه وليس ليلتهمه.

كنت كل مرة أبحث فيها عن رجل؛ كنت أبحث فى عينيه عن نظرة حنان أو لمسة دفء؛ حتى أدركت أن كل العيون تذهب إلى جسدى حتى تصل إلى هذا التاج الملصع بالماس والياقوت؛ دون أن

يتحسسوا هذا الجسد حتى ولو من باب الغرور؛ أنهم قد استطاعوا أن يصلوا إليه بعد معاناة، ولكن أى معاناة هذه؟ تتحدثين عن امكنياتك غير مدركة؛ أنك تبعثى رسالة لكل من تراه عيناكى مكتوب فيها « أنا لمن يرغب » ولكنها مكتوبة بالحبر السرى؛ لا يقرأه إلا من تدرب على فك رموز المرأة الأولى. ياخسارة.. حتى من تدربوا على فك الرموز؛ أظهرت فقدانهم للفحولة والذكاء ما يخفيه مظهرهم؛ الجميع يعبر عن إعجابه وامتنانه ورغبته؛ ولكن مع ثالث لقاء يعلنون استسلامهم؛ وكأنهم فى حرب مع جسد معدنى مشتعل لا يستطيعوا إطفائه؛ ومع ذلك هذه هى الحقيقة بالفعل.

وسط شرود الحسناء والجامده تقرأ المعلمه؛ بحكم خبرتها فى الناس؛ ما يجول فى عقل كل من الحسناء والجامده؛ ومع ذهاب يد الحسناء إلى جسد الجامده وهى تتلذذ من هذه اللمسات الساخنة. تخرج المعلمه من المغطس وتطلب من العذراء أن تأتى معها لتوصى عليها بطه؛ ولكن فى الحقيقة كانت المعلمه تبعد العذراء عن حوار الشواذ الصامت هذا؛ حتى لا تتأثر به وهى مقبلة على حياة جديدة.

أما أنا فجلست كما كنت مكانى؛ أنظر إلى الجامده والحسناء؛ وأشعر وأسعد بلمساتهم لبعض فى جسدى؛ أتلذذ بهذه اللمسات؛ وكأنها سحر يجعل جسدى يسبح فى الهواء؛ لا أجعل من الأرض مسكن لقدمى وهى تقبلها.

تقبل قدمى وهى تحت الماء الساخن ويدها على جسدى؛ لا تبحث عن بئر أنوثتى بل تبحث عن ملتقى تسكن فيه.. وأين هذا الملتقى؟ على نهديى أم على فخذى؟ عند رقبتى أم فى صرة بطنى؟ تحدث أذنى بكلمات لم أسمعها من قبل؛ جعلتنى أفقد السيطرة على جسدى؛ وهو أين جسدى من الأساس؟ لا أدرى؛ إلا أننى هناك خارج حدود الكون؛ إغرق بين أحضانها؛ أحاول أن ألملم أشلاء الزمن ليتجمد هنا؛ وهى تبدع فى حديثها مع أجزاء جسدى؛ تارة أشعر بيدها تحدث ظهرى؛ وتارة أجد شفايفها تندمج فى الحديث مع شفايفى، قدم تتحسس فخذى؛ ولسان يحدث نهديى؛ لا أشعر بشئ إلا بالمتعة؛ ولم أستطع أن أحدد وجهتها؛ إلا عندما شعرت بيدى تفتح أبواب بئرى على مصراعيه؛ وحاولت أن أوقفها حتى لا تقتحم مخدعى؛ ولكن الزمن قد تجمد منذ زمن؛ ولم يستطع أن يوقفها كما وقفت إرادتى؛ كما تجمدت حواسى الخمس وتم حصرها فى مكانٍ واحد فقط؛ وهو صوت آهاتى الملتهبة.

لم تشك بطه فى شئ؛ وهى ترى المعلمه والعذراء يخرجن من المغطس؛ تاركين الحسناء والجامده بمفردهم فى المغطس؛ لأنهم لا غبار عليهن ! كانت ممكن أن تشك فى الأمر لو كانت المنحرفه إحدى المنفردين بالأخرى داخل المغطس؛ لأنها وضع شك دائمآ من قبل بطه.

هكذا دائماً تخدعنا المظاهر فى البشر والأشياء، لأنك لا تعلمى يا بطه أن بالمغطس الشاذة الحقيقية؛ تعزف على أوتار نشوة الجامده هناك، حتى الجامده لم تدرك بعد أنها سقطت فى فك الشاذة؛ واستسلمت لها حتى أصبحت مثلها؛ ولكن برضاها وإدراكها؛ لأنها أيضاً محرومة من شعور المتعة واللذة؛ وقد وجدتهم فى أحضان الحسناء؛ وسط بركة المياه الساخنة، ودون أن تشعر الجامده أصدرت آخر تنهيدة لذة مع خروج آخر قطرة نشوة من بئر أنوثتها.. أصدرتها بصوت عالٍ أحدثت صدى فى جميع أركان الحمام الذى انفرد فى النهاية بأبطال هذه الرواية فقط؛ حتى سمع الجميع هذه التنهيدة الملتهبة؛ والتفتوا إلى مصدرها؛ ناظرين إلى بعضهم البعض نظرة شك وحيرة؛ لتخرج الجامده منتعشة معلنة أن المياه الساخنة جداً سقطت عليها من صنبور المياه العلوى.

بطه: حصل خير.

وتنظر المعلمه لها وهى بجوار بطه نظرة لقد حدث؛ واشمئزاز جعلت بطه تتبادل النظر بين المعلمه والجامده؛ والجامده ذهبت إلى طاولتها الخاصة؛ تشعل سيجارة وتفتح عبوة عصير، أما الحسناء وقفت عند باب المغطس؛ تبحث عن الجامده؛ وتتجه إلى طاولتها الخاصة؛ وهى فى الاستراحة المقابلة لاستراحة الجامده؛ وجلستا تتبادلن النظرات بسعادة؛ وابتسامات بسيطة؛

جعلت بطه تفتح غرفة عقلها للشك ضيف مستديم؛ وبالأخص بعدما أخذت المعلمه العذراء توصى عليها بطه؛ ثم جعلتها تجلس معها على طاولتها؛ تملى عليها وصايا الزواج لتصبح زوجة سعيدة وأم فاضلة؛ ولكى تصبح أم فاضلة؛ عليها أن تحافظ على عفتها لزوجها فقط؛ وأخلاقها هى ما يجب أن تتزين بها أمام الجميع كالعباءة الجديدة؛ وتخلعها من على جسدها وهى فى غرفة النوم مع زوجها فقط، زوجها فقط هو الذى يجب أن تتعامل معه ببساطة وسهولة؛ دون خجل أو مجاملات، إذا رغبتى يومآ فيه ادعيه إلى سريرك الوردى؛ وإذا لم تشبعى رغبتك بعد أجبريه بالدلال والمغازلة دون خجل حتى تستمتعى به ويستمتع بك؛ وإذا أراد منك يومآ شئ غير تقليدى بالنسبة لك لبى له طلبه؛ حتى لا ينظر إلى غيرك؛ ويتركك وحيدة تتعذبى من مياه الرغبة المره، والرجل لا يحتاج من المرأة إلا ثلاث أشياء.. أذن تسمع.. ويدآ تطبطب.. وحضن يحتوى؛ إذا وجد عندك هذه الأشياء لن يتذمر يوماً منك؛ ولبى رغباته حتى يستريح كما هو يلبى طلباتك؛ ولا تجعلى من الكلام ثرثرة فارغة؛ واختارى جيدآ مواضع الحديث والوقت المناسب حتى لا يهرب منك؛ وهو يحتاج إلى أمرأة نظيفة فى منزلها وجسدها.

لمرة أخرى أسكن لسان المعلمه لأجسد كلمات عقلى إلى العذراء؛

لأنها مستقبل منتظر؛ بنبرة أم تصب خبرتها مع الرجال فى وعاء عقل ابنتها؛ لتستعد لأيامها القادمة مع رجل حتى الآن يعتبر غريب عنها!.

اتجهت الدلوعه إلى بطه؛ ووقفت بجوارها تنظف غبار البست الرخام معها؛ وتحضر الكثير من المياه الساخنة وتلقى بها على البست، والجميع جلسن فى هدنة مع النفس؛ حتى يستعددن لجلسة الاعتراف على البست؛ لكاهن معمودية هذا المعبد الأنثوى، والدلوعه تخرج نهديها من الحمالة؛ وتلقى بها بجوار البست؛ وتميل بهدوء سريع لتمحى ورقة " ممنوع الاقتراب والتصوير " عن بئر أنوثتها؛ وتجلس على البست عارية من ظواهر الخجل، وتظهر المنحرفه أمامى وأنا بجوار المعلمه والعذراء؛ أشاركهم الوصايا؛ وبست بطه بينى وبين المنحرفه؛ وظهرت عليها نظرة حزن صعبة الاقتحام؛ وهى تنظر إلى الدلوعه، كانت النظرة سهم اخترق قلبى؛ وكأنى تلقيت صفعة مهينة فى كبريائى كأنثى.. ولما الحزن أيتها العيون المتلألأة فى ليل الآهات؟ تداعبين الشجن من أجل المرح أم من أجل خروجه من داخل وجدانك؟ شاردة التفكير أنت؛ وكأنك ملكة متوجة أعلى عرش الكون؛ تبغى الترحال إلى أعالى المسكونة لتستريح من وهج الشقاء؛ والبقاء من أجلك باقى ليحياكِ كأس من الخمر يفقد به الوجود؛ ويخلق من اللاوجود

حتى يجدد ذاته؛ ويزين وجنتك بلون تفاح لبنان؛ يفوح منه الأصل والزمن الماضى أصبح بين شفتيكى زمن عتيق؛ بالسكر ممتلء إلى أن فاض من اشتياقه السعيد بحضورك البهى؛ تصارعين به يومى السقيم بعد طول غياب عنك؛ حتى أصبح بين تعداد الموتى رغم أنه فى الأحياء هو المائل أمامك بعد الألف ومائة ممن قدموا لك وجودهم ثمن قبلة ترياق ترجعهم إلى رحاب الحياة؛ بعدما تأكدوا من بعدك أنهم أموات فى الحياة، فهل آن الأوان ليومى لأسجل شهادة موتى فى وجودك أم أننى مازلت أنمو فى رحم العشق ولم أرسم خطوتى فيه بعد؟ تتمنى هذا الكلام المعسول أم تلقيه فى أذنيك لتشبعى رغبتك بأنك أنثى؟.. أنثى؟! مقتنعه المنحرفه كامل الاقتناع أنها أنثى؛ ولكن ظواهرها وهرموناتها تثبت أنها نصف رجل ونصف أنثى؛ النوع الثالث؛ ولكنها تترجى رب السماء أن تصبح أنثى؛ أن تكون أنثى؛ لأنها تمتلك بئر الأنوثة؛ ولكنه مغلق انغلاق تام؛ ولكنه موجود.

تنهار المياه الساخنة على جسد الدلوعه؛ وهى نائمة أمام بطه على البست ؛ بانسيابية جعلت بطه تتحسس هذا الجسد؛ لتستنشق النعومة على جسد لم يتأثر بعمليات الولادة الجراحية، كانت تنسحب يدها ببطء وهدوء على رأس الدلوعه؛ لتهدأ عقلها من عصبية التفكير؛ ويدها الأخرى كانت تكيس جسدها؛ بين

ثدييها.. على بطنها.. فخذيها؛ ذهاباً وإياباً يد بطه تمشط الجسد الناعم؛ لتزيل منه الأوساخ من الأعماق لتصبح عروس اليوم وكل يوم أمام زوجها، وفجأه تأتى إلى بطه إحدى صديقاتها من الخارج؛ تطلب منها الخروج معها فى أمر هام؛ مما أدى إلى انسحاب بطه من الاعتراف؛ ودخول الدلوعه المغطس حتى جسدها لا يهدأ من سخونة المياه والبخار، وانفردت الدلوعه بنفسها فى المغطس؛ مما أعطانى فرصة أطرح عليها سؤالى.. لمن هذه الرغبة فى النظافة؟ أنظف جسدى ليشع فيه البريق؛ وتضئ فيه اللمبة الحمراء تغازل كل من رآها ليزيد من غرورى غرور؛ أننى أنثى مرغوب فيها؛ أتدلل وأمرح وألاغى بضحكتى الصارخة كل الرجال فى شارعنا؛ ليحسدوا زوجى ويتمنون مكانته فى قلبى وعلى جسدى؛ وأنا فى الحقيقة جسدى بارد رغم وهجه ونشوته؛ ولكن من الآن أعلن العصيان على هذا البرود؛ بعدما علمت كيف تكون الأنثى وهى بين يدى زوجها؛ حتى أصبح أنثى لابد أن أصدق أننى أنثى؛ وأمحى من ذاكرتى وأنا فى أحضانه أننى امرأة تمتلك كبرياء وغرور ورفض؛ امرأة أنا أمام الجميع ولكن فى عين زوجى أنا أنثى طاغية لم ينتابنى يوماً شعور مثل هذا !! شعور بالنقص.. أننى فى عين زوجى غير كاملة، شعور تعيس لا مفر من مرارته وجفائه؛ أن أرى عين الرجال تشتهينى وعين زوجى تتجاهلنى؛ تبتعد

عنى والسبب أنا؛ أتزين له وأتدلل عليه وعند الوصل بيننا أجدنى جثة هامدة ملقاه على تابوت العشق وهو ممتلئ بالحيوية.. وما هو السبب؟ مجهول لدى أو كان مجهول لأننى اكتشفت الآن أننى كنت امرأة فى عين زوجى؛ وفى عين الرجال أجمع أنا أنثى!! كائن ممتلئ بالغباء أنت أيتها الحمقاء.

كانت السعادة تشع من عين الحسناء؛ وهى جالسة منتظرة دورها فى طابور الاعتراف على يد بطه؛ وأمامها الجامده تستنشق سيجارة؛ وساق على الأرض والأخرى ممددة أمامها على الكرسى الآخر.

تنظر للحسناء بخجل مصطنع وتخرج الدخان بإغراء من امتلكت وهج الحياة على شفتى الدنيا؛ وكأنها سماء الحياة البرارى؛ وتنظر الحسناء إلى بئر أنوثة الجامده وهو مفتوح على مصراعيه أمامها. جلست أمامها؛ أتأملها.. رأيتها كالقبر أريد أن أرقد داخلها؛ وقلبى ينبض بأنفاسها الخارجة من ابتسامة شفتيها الغليظتين ؛كفوهة البركان الحار؛ الصهد يحوم حوله وداخله النار؛ احمراره جعلنى أفتتح فوهة الجحيم فى رحم الجنة، حولى عذاب؛ أنهار؛ أشجار بالثمار ممتلئة؛ وعينى تترك كل هذا وتنظر إلى ثمار جسدها؛ ويدى تترك تفاح الأشجار الناضج؛ وتتجه إلى تفاح نهديها وكأنه ناضج أكثر من تفاح الجنة؛ والنهر سائر بينهما بصفاء السماء؛ يصب فى ينبوع صحاريها،

أسجد أمامها أروى ظمأى منه لأعطش أكثر؛ أبعد عنه متعجبة لما كل هذا العطش يا ينبوع الحنان وقمر العشاق.. يا دقة الحسن المخبأة وسط رمال الكرة؟ تداعب أوتارها الأنثوية بحرية؛ معلنة أنها من تتحكم فى نفسها وليس غيرها؛ وأنها لا تهتم بمن حولها من أشباه الرجال الذين تملكتهم نزعة الرجولة؛ والفخر بكثرة وحجم الفحولة؛ وهم بالأساس أغبية لم يمتلكوا يوماً أدوات المداعبة الحقيقية؛ وما أكثر أهميتها عند الأنثى؛ لن تستلم يوماً لوحش ثائر يثير لعابه عند أول قطعة لحم تظهر فى عينيه المغلقة على غريزته؛ ووضع عقله بين فخديه بإرادته؛ وكأن الغريزة تتحكم فيه وبه تسير كل الأمور! أخذتها فى حضنى وأنا مغلقة العين؛ أتنفس وهج أوجاعها من صعاب الدنيا؛ وتحتويها يدى لتطمئنها؛ بأنها أقيم ما ملكت يدى وسكنت وجدانى، رويداً رويداً سقطت أوراق التوت من الشجرتين؛ وتعرت أغصانهم ليتحدا معاً؛ ليحتموا من أعصار نواة الحياة؛ وداخل بعض كان الأمان اللذيذ؛ والنشوة الجارحة أسكنتهم الحياة خارج حدود الزمان، استمتعنا سوياً ونظراتنا كانت لغتنا؛ بأننا من عشقنا هذا الاتحاد بإرادتنا ! وبكامل قوانا سوف نحارب من يحاول أن يهدم هذا الاتحاد المغمور بالحب؛ حتى لو كان حب محرم ! ! ترتشف المياه السائلة من نبع شفتى حتى جف؛ لأرتوى من ندا بركانها الفائض حول

شجرتها المتفرعة؛ حتى ارتويت وأصبح شلال المياه الأبيض؛ وأنا كما أنا جالسة على كرسى تهالك من شدة الجذب أمامها؛ وهى الساكنة بلورة الصمت؛ وضحكتها رنانة فى كون الحياة المغلقة بلهفة المشتاق إلى ترياق الموت؛ حتى يحيا مرة أخرى داخله

وأنا أمر على الجميع أطمئن عليهن؛ بعدما انفرد الحمام عليهن فقط.

المنحرفه تكسو التعاسة وجهها؛ جالسة بمفردها، والاستعراضيه مع العذراء وشقيقتها؛ تنظر كلآ منهن للأخرى؛ وكل عين بها سؤال..

الاستعراضيه: كيف ستصبح حياتك مع رجل لم تحبيه وحبيبك خارج حياتك منتظر؟

العذراء: ما ذنب هذا القلب النابض باسم رجل آخر غير من ينتظرنى ليغتصب عذريتى؟

الشقيقه: ياترى رفضك للزواج بسبب عدم الرضا عليه أم أنك فقدتى عذريتك وخائفة من كشف الحقيقة؟

تفكر فى الشرف والتقاليد؛ والآخرين يفكرون فى بتر نبض القلب فى حياة قادمة ليحيا هكذا دون نبض يشعرها بمذاق الحياة؛ وجمال الدنيا؛ وهى ضائعة بين الجميع والأقاويل. والمعلمه بالخارج؛ فى الاستراحه الخارجيه؛ وسط زحام النساء

المنتظرين؛ منتظرين دورهم فى عمل الحلاوة أو الكوافير؛ وأحياناً يدخل بعض النساء ليجالسن صاحبة الحمام، فهى سيدة بسيطة جداً فى التعامل؛ وحازمة جداً فى العمل؛ بساطتها وموضع عملها جعلتها سيدة هذا الحى؛ وملتقى العابثين مع الزمن، يأتى الجيران إليها؛ يشربن الشيشة كلاً على سواه وعلى حسابهن؛ يجلسن يتحدثن عن أحداث الحى؛ وزفاف فلان؛ وطلاق فلانه؛ وهكذا لا تخلوا الاستراحه من الثرثرة النسائية وسط دخان الشيشة والسجائر، أما المعلمه كانت جالسة تشرب الشيشه القص؛ وأمامها كوب قهوة دبل؛ منتظرة دورها فى رسم الحناء على جسدها، فهى عروساً أيضاً؛ ولكن على رجل لا علاقة له بمهنتها، فهو مهندس زراعى يمتلك شركة استيراد وتصدير؛ رأى فيها القوة والنشوة النسائية؛ فتملكته الرغبة فيها، وهى كانت مبدعة فى التلاعب به؛ فهو بالنسبة لها مكسب من جميع الزوايا، مركز مرموق.. مستوى مادى عالى.. شاب يمتلك قوة الحيوية بين فخديه، وبالنهاية مثله مثل من سبقوه؛ تستمتع به قدر المستطاع؛ ثم تتركه بعدما ينفصل عنها؛ وتأخذ من أمواله ما تستطيع أن تأخذ؛ تحت مسمى النفقة والمؤخر؛ ومن ذكائها أن تجعل الرجل هو الذى يعلن رفضه للاستمرار معها؛ كما تجعله يعلن من البداية رغبته فى الزواج منها؛ ولأنها حرة وجسدها

حر؛ ولا تقبل إطلاقآ مايسمى بالانحراف الأخلاقى؛ مما يؤدى إلى سوء سمعتها وسمعة أولادها؛ كانت تتزوج شرعى أو عرفى؛ وتعلن على الملأ زواجها حتى تغلق جميع الأفواه؛ فهى امرأة عادية؛ من حقها طلب الحماية من رجل يضلل عليها؛ ويملأ فراغ وحدتها؛ ويحمى جسدها من أعين المتربصين لها؛ وبالنهاية الزواج شرعى وهذا حقها.

جلست أمام الحنانة بجسد شبه عارٍ؛ ترسم أسفل ظهرها مصطلح شعبى اشتهر بعد خروجه بلالً أنثوى من فم الفنانة الشابة «أيتن عامر» «أحبوش» وعلى صرة بطنها قلب يهبط منه سهم اتجاه بئر أنوثتها؛ وعلى البئر من أعلى كتبت اسمها ليقبله كل مرة يأتى إليها فيه ليعرض فروض الطاعة والولاء؛ وعلى كتفها قد رسمت طاووس عارض ريشه الزخرفى على ظهرها فى لوحة جمالية مزخرفة؛ وعلى ثدييها اختارت مصطلح إنجليزى «kiss me» لتنهى الحنانة عملها دون أن تنقش رسومات أخرى على فخذيها أو ساقيها إلا رسمة خلخال بسيطة؛ مبررة هذا بأن الجزء الأسفل لا أهمية له عند الرجل إلا للنظر فقط.

لم تترك المعلمه ذكرياتها الغريبة مع الشذوذ إلا على بست بطه عندما كانت جالسة أمامها عارية تمامآ؛ قبل دور بطه.. جلست عارية متحررة أمام بطه؛ وأخذت من المياه الساخنة ما يكفى على

جسدها؛ كنوع من انتعاش الجسد والذاكرة؛ ثم نامت على جنبها الأيمن؛ وكأنها على فراش الجنس فى أنتظار من هو يستحق هذا الإغراء؛ وبطه تكيس جسدها باللوف المغربى؛ وتصب الخل على جسدها الدافئ من حرارة المياه الساخنة، وقد أغلقت المعلمه عيناها لأول مرة منذ حضورها هذا الحمام والنوم أمام بطه؛ لتسترجع ذكراها القديمة المخبأة فى سرداب عقلها الباطن؛ عندما كانت امرأة بلا رجل.. بلا متعة.. ولكن الرغبة تحتلها؛ وهنا ظهرت سيدة مفعمة بالحيوية والقوة؛ كانت السيدة شاذة بطبيعتها؛ تجد فى السحاق ما يشبع رغبتها الجنسية منذ ولادتها، والمعلمه ولدت وسط أسرة محرومه من الرجال؛ ملغى منها مصطلح الذكورة؛ كانت خالتهن تداعب أعضائها التناسلية دون خجل أمام أخواتها المعذبات من ولع الشهوة؛ وخالتهن المدربة على هذا فى سجن النساء؛ لأن الخالة هى خريجة الأصلاحية؛ ومن بعدها كانت عضوة مستديمة فى سجن النساء – وبما أن الخالة الراعية الرسمية للبنات الثلاثة نشأت فى مجتمع نسائى بحت – قد أتقنت فنون السحاق عن جدارة؛ وعند خروجها من السجن لم تجد إلا ثلاث شقيقات صغيرات؛ يتسولن فى أسواق الحى؛ ليجدوا مايشبع شبح الجوع داخل جفوهن؛ بعد وفاة والدتهم شقيقة السجينة؛ لذلك احتضنتهن واحتوتهن وعلمتهن كيف يصبحون أقوياء فى

عالم لا يحتويه إلا الرجال الأقوياء والنساء الضعيفات؛ ومن هنا ترعرعن الفتيات على أنهن رجال؛ رجال فى كل شئ؛ فى العمل والجهد والقوة؛ حتى فى الجنس كانت الخالة تعلمهن كيف تكون البنت الموجب؛ وكيف تكون الفاعل والأخرى المفعول بها، ولكن المعلمه قد خرجت من هذه الدائرة الساحقية؛ عندما خطت أولى خطواتها فى السوق الكبير؛ أخذت من سمات الرجل الإيجابى منها؛ واحتفظت بتعاليم الأنثى داخلها؛ حتى ظهر أول عاشق أمامها؛ وأخذت تبدع فى فن استخراج الأنثى المدللة من باطن وجدانها؛ وعند الوقت القاتل وهو وقت دام أربع سنوات – بين انفصالها عن زوجها الذى عشقته والرجل الآخر الذى تزوجته – كان الوقت المناسب للسيدة الشاذ أن تخترق هذا الجدار الهش؛ وتقتحم خصوصية المعلمه لتشبع شهوتها بقوة المعلمه؛ والمعلمة تشبع رغبتها فى التمسك بالحياة دون رجل.

فترة قد تسربت إلى الماضى بسرعة غريبة؛ رغم تفانى السيدة فى إتمام العلاقة الجنسية معها؛ من أحضان وقبلات ورقص وشيشة؛ وسهرات سامرية منعشة تعلو فيها الضحكات بانتعاش النعناع وشراهة الشيكولاتة؛ ولولا وفاة السيدة الشاذة كانت أستمرت العلاقة لأمد أطول من سنين الشواذ المحاطة بهم؛ وعندما رأت المعلمه هذا الرجل الآخر يحاول مداعبة نساء الكون

المجتمعات فى عينيها ؛ لم تترك له الاختيار؛ بل اقتحمته بقوة المرأة وتزوجته حتى تشعل شعلة الغيرة فى زوجها السابق وحبيبها الوحيد؛ وتشبع رغبتها الجامحة؛ حتى أنها نظرت إلى ما كان يحدث بينها وبين السيدة الشاذة ما هو إلا عبث من القدر وقد انتهى إلى الأبد؛ وبدأت حياتها الجنسية بطريقة شرعية مع الرجال من جديد، ومن هنا خرجت المعلمه من الحمام إلى الساحة الكبيرة؛ تخرج دخان الشيشة ممزوج بتنهيدة الراحة؛ وطردت آلام ذكريات ماضية؛ وجلست أمام الحنانة برضا النفس ونظافة الجسد والعقل لتستعد لزفافها اليوم على سرير الجنس الشرعى.

الجامده نائمة أمام بطه فى استسلام عجيب للمسات بطه العنيفة على جسدها؛ لتنعشه بتراخى العضلات المتصلبة أعلى ساحة جسدها لتحميه من اختراقه؛ ولكن يد بطه بها سحر يجعل الجسد متهاون؛ هادئ؛ به نعومة الأطفال مما يسهل عليها الدخول إلى أعماق بسماته؛ وشعور المتجسد باسترخاء مريح؛ كانت الجامده جلست أمام بطه وقد احتفظت بالبكينى؛ لتكيسها بطه وهى ترتديه لأنها تشعر بالخجل؛ وهى حقيقتها الغير معروفة حتى الآن؛ أنها بالفعل شخصية مرموقة خجولة بطبيعتها وهادئة، حتى عندما كانت تتوسط زميلاتها فى ندوة فى قاعة اجتماعات لمناقشة موضوع أدبى مثلآ؛ بعيد عن جلساتها

الجنسية؛ كانت تظهر بصورة شخصيتها الحقيقية؛ أنها هادئة وخجولة؛ حتى أن كل من سمحت له الفرصة أن يقاسمها الفراش؛ أو الصداقة الحقيقية وهى تتبادل الألفاظ الإباحية بصورة عفوية؛ كان يتعجب كل العجب من خجلها هذا؛ وبالأخص لأنه غير مصطنع؛ ولكنه حقيقى نابع من حقيقتها السجينة وجه شخصيتها، تنام على بطنها هروباً من المواجهة مثل كل مرة؛ تبدأ بالنوم على بطنها وتدلكها بطه؛ وبطه تبعد شعر رأسها عن كتفها لتظهر عليه بقعة حمراء ملتهبة؛ وتتسائل بطه وهى تتحسسها..

بطه: إيه ده؟ كتفك أحمر ليه كده؟

الجامده: مش بقولك الميه سخنت مرة واحده وأنا قاعده تحتها!!

لتظهر الحقيقة الغير معلنة؛ أنها بالفعل أصيبت فى كتفها؛ وليس كما تخيلت الأنثى عندما تركت المعلمه الجامده تستلذ بلمسات الحسناء العابرة فى المغطس؛ ولكن المرأة الشكاكة التى بداخل المعلمه هى التى صورت لها ما يحدث داخل المغطس بين الجامده والحسناء؛ الشك الذى احتل كيان المعلمه التى ترى علاقات مريبة تجول داخل السوق بين الرجال والنساء؛ هى ما جعلتها تشك فى كل شئ؛ وفى جميع علاقات الصداقة بين بنتها وزميلاتها؛ حتى أنها قد جعلتها تخاف عليها؛ وتمنع قدوم

أحد لزيارتها إلا فى وجودها حتى يطمئن قلبها على ابنتها، وكل ما كان يدور بين الحسناء والجامده ماهو إلا نتيجة بعض التلميحات التى كانت تحدث بالداخل بشكل غير مباشر؛ مما أدى لأخذ الجامده رقم موبايل الحسناء ليتحدثن سوياً بالخارج فى الأيام القادمة سوف تجمع بينهن على أعلى نطاق من الصداقة الظاهرة والشذوذ الداخلى؛ وهذا ما أدى إلى ظهور السعادة على وجه الحسناء ومداعبات الجامده معها كنوع من الإغراء فقط، وهى مقدمة جديدة؛ أو بالأحرى هى تجربة جديدة سوف تدخلها الجامدة فى عالم خالى من الرجال؛ على أمل أن تجد ما يشبع شهوتها بطريقة مختلفة؛ وبالأخص أنها عاشت حياة مليئة بالرجال.. أشقاء.. زملاء عمل.. أزواج؛ كل حياتها منحصرة فى الرجال وما أمتعهم؛ ولكن أين متعتى أنا؟ هكذا أغلقت الجامده باب الحوار فى موضوع حقيقتها أمام ذاتها؛ أنها لا تهتم بما سيحدث مادامت النهاية واحدة؛ حتى لو كانت تجربة أحياها لحين ظهور الرجل مرة أخرى فى عينى وحياتى؛ ومن الآن حتى ظهور هذا الرجل لا مانع من خوض التجربة.

يأتى دور المومس لترقد على بست الاعتراف الحقيقى أمام بطه؛ بعدما ألقت بطه الكثير من المياه الساخنة على البست؛ لتمحى غبار اعتراف السابقة؛ وتنظر إليها وهى تتقدم إليها؛

وعين المومس تطلب فتح بئر الأسرار لتلقى فيه الحقيقة المرة، ولأنى منذ الأزل استطعت كسب ثقة الآخرين؛ لذلك شعرت المومس بالطمأنينة؛ ورقدت أمامى؛ وعينى امتلأت شفقة وحزن على هذا الجسد اللولبى؛ عندما غمرته المياه وانجرف عنه أول الغبار؛ وظهرت أثار تعذيب على ثدييها وبطنها؛ وكأن جسدها تحول إلى طقطوقة سجائر.

نظرت المومس إلى عين بطه؛ ورأت فى عينيها الأسى؛ وفى عين المومس الحسرة؛ وقد أغلقتهم غصباً عنها؛ وأخفت جروحها واستدارت على بطنها لتظهر جروح ظهرها؛ وكأن المومس تقول لبطه؛ انظرى إلى ما صنعه بى الزمان فى الدنيا الملعونة، وبطه بالفعل تنظر إلى ظهرها؛ وآثار نهش لحمها واضح؛ وكأن مخالب ذئاب قد غرست فيه؛ وهى تتحسس الجرح بيدها العطوفة؛ وتتنهد المومس حزناً على حالها وماتوصلت إليه.. نعم أيها الكاهن أصبحت مومس يباع جسدها بالمال تحت إشراف زوجى القواد الرسمى؛ يرسلنى إلى المكان المتفق عليه؛ أنام تحت رجل غريب وأشبعه متعة وشهوة؛ وبالمقابل آخذ المال المتفق عليه؛ وأجلس معه ليله أو اثنين ليفعل بى ما يحلو له؛ وأنا جثة تحركها الأيادى الخفية.. ترقص.. تضحك.. تسكر.. تدخن المخدرات؛ كل شئ لأصنع للرجل حتى أننى شعرت بالاشمئزاز من أوضاع جنسية

بغيضة حيوانية؛ ولكن ما باليد حيلة، صرت أتفنن فى سوق المتعة حتى كرهت الحياة؛ وكأنى أنتقم من نفسى؛ لأننى لم أقف وقفة جادة؛ رافضة هذا التبادل المحلل حتى أصبحت مومس تصفع على وجهها فى الصباح من زوجها؛ وتطفأ السجائر وينهش جسدها بالليل من راغبى المتعة الوحشية.

تنهار المياه على جسدها كما انهارت أعصابها بعدما تذكرت هذه الليلة الأخيرة؛ وهى فى شقة أحد راغبى المتعة؛ وكان معه اثنان آخران، وبعد العشاء والمزاح والرقص والخمر؛ أخذ الثلاثة يمارسون معى الجنس فى نفس الوقت؛ وبالطبع لا داعى أن أقول كيف أو لماذا؛ لأن هؤلاء يكونون مرضى بالحرمان؛ ثم يتحول الحرمان إلى الماسوشية حب التعذيب كنوع من الانتقام؛ كان من يقف بالخلف أخذ يغرز أظافره فى لحم ظهرى بقوة؛ وكأنه محراث يخرج الطين من قلب الأرض؛ وعضوه بداخلى يبحث عن شئ مفقود؛ والآخر يده متشابكة فى شعرى تجبرنى على السجود بين فخذيه؛ أما الثالث جعل يدى تؤدى دورها بكل ترحاب مستلذ.

أقف أمامك أشفق عليك أم أؤنبك على حالك أيتها المسكينة وأنت داخلك ما يكفى؟! والأكثر أيضآ لأن بغبائك صنعتى لذاتك ملف آداب فى إدارة مباحث الآداب؛ ونحن جميعآ نعلم أن فى بلدنا هذه الدعارة تعد مرخصة؛ طالما العاهر تشبع الضابط أو تعمل

عنده جاسوسة؛ ولكن يبقى السؤال عن النهاية؟

تجلس المومس أمام بطه بسخرية..

المومس: تكون زى ما تكون.. تكون السجن.. الحرق.. القتل؛ مش مهم بدال كل ده هيكون بعيد عن ولادى.

تسخر بطه منها عن كيفية بُعد العار عن نتيجة العار؛ العار هو العار إذا كان فى امرأة أو رجل؛ وأنت من رزقك غبائك وضعفك بهذا القواد والاسم زوج.

تلقى المنحرفه بجسدها أعلى بست الاعتراف لتغسل همومها؛ وتزيل بطه الأوساخ من جسدها؛ وهى تنظر إليها باشمئزاز؛ وتنظر المنحرفه فى عين بطه؛ ثم تغلق عيناها ببطء الفاقد الروح. تجدينى منحرفة وأنا البتول؟ حتى الآن يا إله لم يعرف العدل بعد كل هذه المعاناة، لم أشعر يومآ يابطه بطعم المتعة والنشوة لأننى فاقدة مصدر المتعة؛ أجرى وأمرح بين النساء لعلى أجد بينهم مايشعرنى بالأنوثة؛ أحاول أن أنتمى إلى هذا العالم الناعم الغيور؛ أحاول أن أصبح مثلهن؛ أتمنى أن أكون أنثى تشعر بالحياة والدفء؛ والحياة المفعمة بالحيوية والأمومة... آآآه تنهيدة تقتل كل روح ونسمة وحياة فى المياه المنهارة على جسدها الناعم؛ آآآه أم؟.. أكون أم؛ أتمنى أن أكون أم؛ تقتلنى هذه الرغبة؛ هذا الصوت البرئ الهادئ وهو يوقظنى لآخذه داخل حضنى..

ماما أنا خايف.. ماما !! أخبئه فى حضنى ليشعر بالأمان؛ وأشعر أنا معه بالدفء وأننى أصبحت كاملة مكتملة بهذا الكائن الصغير، تنظرى إلي وكأنى منحرفة وأنا البتول فى عالم النشوة والرغبة والمتعة؟ ولكن من أين يأتى هذا الانحراف؛ غير أننى أتفقد ما أنا مفتقداه داخلى.. تشعروا بى يا آلهة الحب والمتعة والإخصاب؟ أم مات الشعور بداخلكم؟ أبحث عن معنى الأنوثة.. كيف أكون أنثى.. أبحث بينهن عمّا ينقصنى.. عمّا أكون أنا.. أنا هذا الكائن الغريب.. مجهول النوع أبحث عن الكينونة أيتها الآلهة حتى أسير فى طريقى؛ مدركة معنى الحياة؛ وأنتم آلهة صماء؛ ترجع صرختى تهزنى وكأنها صدمت فى صخر صوان؛ لا يرى ولا يسمع؛ حتى الشعور أفتقدوه وبالنهاية يلقى الذنب على كاهلى حتى أنحنى من كثرة الظلم والتجوال فى العالم كالغريب عن موطنه.. أين موطنى؟.. أين؟ فى عالم الرجال أم النساء؟ فى عالم الفحولة وأنا نحيفة أم فى عالم الأنوثة وأنا معدومة؟ فى عالم العطف والأمان أم فى عالم الدفء والحنان؟ أقف هكذا..

أنا من وقفت على حافة الهاوية تبحث عمن أكون بين أشلاء الكون؛ لا أملك الشجاعة لألقى بذاتى فى الهاوية؛ ولاأمتلك خطوة الرجوع إلى الماضى؛ لذلك وقفت كما أنا على حافة الهاوية.

تخرج الدلوعة من المغطس عارية تماماً؛ معلنة استعدادها

للمثول أمام قاضى الذكريات الأليمة على بست الاعتراف؛ ولكنها خارج السجن من تهمة الزنا؛ لأنها فاسقة تتلاعب على الرجال وتشغلهم دون لمس جسدها وبعيد عن المداعبات الجسدية !أكثر من ضحكة رنانة وملاغية بالعين؛ وخروج من الحى والتسكع وسط الأحياء المزدحمة لتشغله؛ وتجعله يشترى لها الكثير والكثير من ملابس لها ولأولادها لا يحدث !! وكانت اللمسات الخارجية موجوده؛ أخذ مقاس ثدييها وطول ظهرها وعرض كتفيها ورقم خصلها؛ والأكثر من هذا أنه نال شرف الخروج مع هذه الدلوعه؛ أمام جميع الغرباء هى زوجته وهو زوجها يحق له لمسها بحرية أمام الجميع؛ مادام الجميع غرباء، ولكن آآآه يابطه على سمعتى عندما تتجول على طريق يدوس عليه الجميع عند ظهور قريب لى؛ أو أحد سكان الحى وسط الغرباء؛ ليلقى على جسدى رصاصة الخسة من عينيه؛ أنه بالفعل رآنى؛ وأظل هكذا أتجول من هذا القريب إلى هذا الجار لهذا البياع فى الحى حتى تغلق أبواب الأفواه على بوح سرى؛ أننى سهلة المنال لكل من رغب؛ وأنا خائفة على سمعتى؛ وسمعتى قد ذابت فى مياه الوحل؛ وكل هذا بسببى أم بسبب زوجى، بسبب طمعك وغرورك؛ أصبحتى مطمع للجميع وأنت ملك لواحد فقط؛ لم يفكر يومآ فى خداعك ولا يحلم بحرمانك؛ وأنت متمردة فى هذا المناخ المشبع بالفسق؛ والفسق زنا.. خيانة لا حصر لها ولا حرج عليها.

المرأة الفاسقة هى المرأة العاهرة حتى لو باعت بدل جسدها كلمات خليعة؛ فهى عاهر بلسانها كما العاهر بجسدها.

تطبطب بطه على جسدها لتنهض وهى مشمئزة منها؛ وتنظر إلى العروس لتكيسها أملاً فى بشرة خير فى المستقبل القادم.

تلقى المياه الساخنة على البست لتمحى ذكريات الدلوعه المتبعثرة عليه؛ وتشاور على العذراء لتجلس ها هنا، ولأن العذراء عروس الغد طلبت بطه منها أن تتجرد من ملابسها البسيطة من ثدييها وبئر أنوثتها؛ حتى تتجرأ بالوقوف أمام زوجها عارية غداً ؛وتجردت العذراء من ملابسها بخجل مصطنع؛ لأنها تحررت من قيود التقاليد منذ مواجهتها فى غرفة الحلاوة؛ من كلام جرئ ومصطلحات واضحة وحركات تثير أعصاب الجسد؛ وخروجها من الحمام والسيجارة بين صوابعها البتول؛ لذلك اصطنعت الخجل وهى تلقى بالملابس على حافة البست؛ وظهر تفاح الجسد المصرى؛ ثديين كالتفاح المتماسك ناعم الملمس غير مستعمل؛ وحلمتان كالعنب البرارى منتظرين من يسكر من خمرهم؛ وبئر أنوثة مغلق بالشمع الأحمر وعليه ختم العفة.

تنام العذراء أمام بطه؛ وبطه تلقى على جسدها المياه الساخنة؛ على وجهها وجسدها الملقى أمامها كالميت لا روح فيه؛ ولا نفس ينقش ضلوع صدرها بالحياة؛ لأنها بالفعل فقدت الحياة عندما

فقدت معنى الحرية؛ وخرجت من سجن الأبوة إلى سجن الزوجية والسجان رجل؛ من رجل إلى رجل ومن سجن إلى سجن وأنا هو أنا..أنا؟ أغلقت عيناها ورأت مستقبلها وهى تتسائل عن من أكون أنا؟

أنا؟.. أنا عايشه زى ما أنا.
لا جديد من قريب ولا بعيد بيا أنا.
عايشه عمرى يوم بيومه ولا فرقه معايا أنا.
نهار بيخلص وليل بيطول وبسهر فيه أنا.
العزله والوحدة أصحابى هنا.
الشجن والخوف سبب كل الضنا.
بهرب منهم وبيهم سبنى أحساس الهنا.
عشقت وهويت وجرحت وبكيت وأنا مش أنا.
ساعات برجع بخيالى وأسأل عن حبنا.
مين اللى باع وليه ضاع مننا.
إحساس الشوق خلانى أمسك شوك وردنا.
وآآه يازمن آه لما بيقتلنا جرحنا.

تنهدت على أيامها القادمة وهى ضائعة فى عالم لم تختار من تشاركه معها؛ ولكنها مسلوبة الإرادة؛ اختارت الخضوع لأنه القضاء؛ القضاء الذى أعطى الملكية لولى الأمر؛ حتى تتزوج من آخر

ليسلمها من بعده وكأنها فاقدة للأهلية؛ وهى فى المجتمع الشرقى بالفعل فاقدة للأهلية؛ مهما وصلت المرأة من مراكز وسلطة تبقى تحت وصية والدها ومن بعده زوجها؛ حتى تدفن فى مقابر الموتى؛ دون أن يشعر بها المجاورين من سكان هذا المجتمع؛ أنها ميتة فى عالم الأحياء؛ لا طموح لها ولا صلاحية لتفكيرها؛ أى لا عقل لها تستخدمه حتى لا تلقى فى خانة المجانين؛ مجتمع لم يصغ حتى اليوم إلى ملتقى الثقافات وحب الإثبات والإنسانية؛ لا علاقة لها بالرابط المقدس؛ ولا تمحى الذكورية من الرجل ولكننا نحيا حتى الآن فى منفى من العالم.. هناك.. هناك فى بؤرة الرجعية والجهل – فى العالم التالت.

كانت الحسناء جالسة فى انتظار إنهاء الاستعراضية دورها أمام بطه؛ لأنها تخجل أن تنام أمام أحد؛ وبالطبع هذا غير صحيح لأنها فى الحقيقة كانت تدعى الخجل؛ ولكنها كانت تفضل الجلوس إلى النهاية؛ حتى تلتهم الفرصة فى مشاهدة الجميع وهن ممددات أمامها على البست؛ حتى تختار وتقارن بين هذه وتلك لتشعل الغريزة الشهوانية بداخلها؛ وتختار من تداعب شهوتها فى مخيلتها. حقيقة الحسناء هى أنها تأتى إلى هذا المكان المتواضع؛ لتختار من بين النساء والعذارى ما يثير مخيلتها من الوقت للآخر؛ هكذا بدأت الحسناء الاعتراف على بست بطه،

بعد رفض الاستعراضيه الاعتراف الآن؛ مبررة هذا بأنها ليست على عجلة من أمرها؛ لأنها منتظرة المعلمه من الخارج. أغلقت الحسناء عيناها وهى مستسلمة ليد بطه؛ واعترفت بالحقيقة الأخرى؛ وهى بجانب أنها شاذ جنسياً بإرادتها لكرهها للرجال؛ أنها تأتى هنا تشاهد الأجساد العارية وهى تتحرك بحرية دون قيود، كانت تشعر بالنشوة تداعب شهوتها عندما ترى خجل فتاة تأتى لأول مرة هنا؛ يبعثر ورود خدودها على جسدها ليتحول إلى بستان ربانى لا يراه أحد سوى من وهب عيناه لتمجيد هذا الجسد القدوس؛ وكم احتلتها هذه النشوى فى كل مرة، نعم.. نعم أعلنها أننى من تسرق من بساتين العذراء ورود خجلهم وأحتفظ بهم داخل مخدعى؛ أداعب بهم أرضى البور حتى تنبت الشهوة الحشائش البيضاء؛ وأخطو عليها أولى خطواتى الغريزية بمفردى؛ حتى تأتى هذه المتمردة على أغصانى لتزرعنى قلم فى بستانها يخطط خطواته؛ وتعلو مرتفعاته؛ ويذهب إلى أبعد نقطة ليحدد الآتى؛ وتخرج مياه البئر بين شفتى؛ دائماً أجد لذتى مع متعتى متكاتفين ضد إرادتى؛ كثيراً حاولت أن ابتعد عن شهوة النساء؛ وأختار أن أبدلها بالإشباع الذاتى لذلك آتى إلى هنا؛ ولكن دائماً يصاحبنى سوء الحظ؛ عندما أكتشف بعد خروجى أننى أمتلك رقم موبايل إحداهن؛ وأبدأ فى مغازلتها فى الهاتف حتى

تستسلم لى؛ ونصنع العلاقة فى بادئ الأمر فى الهاتف تحت ستار الليل العذب؛ وبعدها تأتى أو أذهب إليها؛ مرة تلو الأخرى نغوص سوياً فى بحيرة المتعة حتى تجف شهوتنا معاً ونبتعد مللاً من بعض؛ ومن تانى آتى إلى هنا أشبع رغبتى بذاتى؛ وأخرج برقم آخر وأغوص فى البحيرة وتجف الشهوة وأبتعد وآمل؛ هكذا تدوم الحركة فى الدائرة لا أخرج منها ولا أجد مفر منها ولا هروب؛ وهو كما هو هناك جالس منتظر ليشبع من شهد بئرى؛ ويلقى قتيلاً مؤقتاً على فراش الزوجية؛ وأنا أخرج منه ومن تابوته العفن إلى غرفتى الأخرى أداعب شهوة السهارى فى ليل وحدتهن.

* * *

هـــن

يسود الصمت فى المكان؛ وتنهدات عدة بين صدورهن تكشف عن راحتهن من قيود سرسل الذكريات؛ وأصبحن أحراراً داخل أنفسهن؛ وإبتسامات شفافة تحيط المكان؛ والنساء جميعاً مجتمعات فى غرف الاستراحة المكشوفة، الجميع يرى بعض وبعيد عن بعض؛ لا تجمع بينهن إلا نظرات الشفاء والنظافة من قذارة أجسادهن ونفوسهن.

وإذا فجأة يصدر صوت ضجيج غير واضح المعالم من خارج الحمام أجمع؛ يصل إلى الجميع بالداخل. صوت مفرقعات؛ رصاص؛ زحام أصوات؛ ضجيج جعل الجميع يتسائلن؛ وظهر على ملامح البعض الفزع؛ وكان ملحوظ أن الأمهات هن الأكثر فزعاً من الآخرين.

جلسن جميعاً صامتان وبطه كذلك، جلست فى ركن بعيد بجوار الأنثى؛ عيناها ترى الجميع وهن صامتين؛ وهن منشغلين فى تفكيرهن. سألت الأنثى بطه..

الأنثى: ترى ماذا يحدث إذا اقتحم أحد الرجال المكان هنا بحثاً عن الأمان؟

ماذايكون ردود أفعالهن؟

وكيف سيكون سلوكهن معه؟

نظرت بطه إلى الأنثى متعجبة من صعوبة توقع أسئلتها؛ ثم نظرت بطه إلى الجميع تبحث عن رد فعل وسلوك كلآ منهن.. وتبدأ بطه ترسم لوحة الحدث فى مخيلتها.

وسط سكون المكان يفاجأ الجميع بوجود شاب مفتول العضلات وسيم؛ حبات العرق على وجهه أشبه بحبات اللؤلؤ القرمزى؛ يخرج الهواء من صدره بسرعة جعلت ضلوعه تعلو وتهبط بصورة متتالية كثيراً، تحدث دربكة بين الجميع.

يفاجأ الشاب بالأجساد العارية بجميع الأشكال والمقاسات؛ جعلته يلفظ كلمة واحدة من فمه دليلآ على الانبهار.. واااااو؛ ثم يخرج من بؤرة المفاجأة ويستدير جسده ونظره إلى الخارج؛ دليلآ على الاحترام..

الشاب: أنا اسف

فى نفس الوقت يتسارعن النساء فى ارتداء ما يستر جسدهن؛ إلا المنحرفه والمومس؛ وقد أخذت الأخيرة المبادرة وتوجهت إليه؛ واضعة يدها الناعمة على كتفه وهى تواجهه بإغراء..

المومس: أنت مين؟

ينظر الشاب فى الأرض خجلآ من موقفه..

الشاب: أنا كنت بجرى من الحكومة علشان المنشورات اللى معايا واستخبيت منهم هنا.

تلمس المومس وجهه بنعومة بالغة..

المومس: أنت باصص فى الأرض ليه؟ تعالى احنا زى إخواتك.

وأخذته معها وجلست معه على طاولتها الخاصة؛ وسط ذهول الجميع؛ وقدمت له عبوة عصير ليهدئ أعصابه.

الجميع جالس فى صمت رهيب؛ بعدما ارتدين ملابسهن؛ إلا المنحرفه والمومس بالطبع؛ متسائلين عما يحدث بالخارج؛ بعد ما شعرن بوجود الخطر بالخارج بين العسكر والشباب والرصاص والقنابل المسيلة للدموع بينهم. لتقف بطه فجأة..

بطه: وأنت هتفضل قاعد كده كتير ولا إيه يا روح أمك؟ يالا ياض امشى من هنا إحنا مش عايزين مشاكل

الشاب: والمصحف أنا ما عملت حاجه بس فجأه لقيت الناس بتجرى وأنا جريت معاهم.. أنا فى عرضك أفضل بس شويه وبعدين أمشى.. أبوس إيدك

المومس: ما خلاص يا بطه يووه.. هيفضل شويه وبعدين نمشى سوا وكأنه معايا

تتعمد المنحرفه أن تمر من أمامه بإغراء مصطنع لتجذب انتباهه؛ حتى تثبت لنفسها أنها بالفعل أنثى مرغوب فيها؛ وهى لابد أن تستغل حاجة الشاب فى الجلوس قليلاً هنا؛ وكانت محاولتها ناجحة لأن الشاب انجذب فى بادئ الأمر إلى المكان

الملئ بالنساء؛ ثم جسد المنحرفه المدلل؛ ونعومة المومس جعلته ينتصب فى مكانه؛ ووجد نفسه متقمص شخصية هارون الرشيد؛ جالس سلطان زمانه وسط ثمانية نساء مختلفين باستثناء بطه، ينظر على كل واحدة؛ يبحث عن من تكون الأقوى ليبدأ بها؛ ولكن فى حقيقة الأمر كانت كل النساء مهتمين بأشياء أهم وأقيم من الجنس فى تلك اللحظة.

تمر عينيه على المعلمه؛ وهى جالسة تطلب رقم ابنتها لتطمئن عليها؛ وعقلها شارد فى سبب عدم الرد عليها.. هل حدث لها مكروه؟ لا أنها نائمة.. كانت إجابة على اتصالى.. أتصل بالولد يمكن معها؟ لا لابد أن أعلم مكانه أيضاً لعل يكون فى المظاهرات وحدث له مكروه.. أجب يا ولدى ليطمئن قلبى عليك وعلى أختك.

يستوعب الشاب أنها غير مدركة وجوده؛ فينظر إلى الحسناء؛ وهى بالفعل حسناء فى زيها الهادئ وجمالها المبهر؛ ولكنها كانت هناك وسط المظاهرات بعقلها مع زوجها وشقيقها؛ تبحث عن رصاصة تخترق صدر زوجها تفدى قلب شقيقها؛ لتصبح زوجة الشهيد؛ وتأخذ حريتها من قاتل أنوثتها؛ بعد اغتياله لسبب شريف يجازيه عنه الله بحوريات الجنة؛ ولكنه أنانى.. لابد من أن الحوريات سوف يهجروه أيضآ بسبب غبائه وأنانيته؛ وتبتسم بسخرية وهى تحرك عيناها؛ وتستقل فى عين الشاب؛

لتتبدل النظرة من نظرة مبتسمة إلى نظرة حادة؛ جعلت الشاب ينظر إلى الجهة الأخرى سريعاً؛ هرباً منها واستقر فى جسد الدلوعه المدلل من ابتسامتها الصافية؛ وهى تتحدث مع زوجها فى الموبايل لتطمئن عليه؛ وقد اطمأنت ووعدته بعدما أعلنت حبها له بليلة ساخنة لا مفر منها؛ سوف تصبح أقوى من رصاص العسكر وأكثر سخونة من كلمات المتظاهرين؛ ولكن بعد ذهاب الأولاد إلى البيت الكبير؛ لذلك كانت مندمجة فى الموبايل لا تبالى بوجود هذا الشاب الوسيم ولا تشعر به؛ ترجع عين الشاب إلى مكان المعلمه؛ يتفحص الاستعراضيه وهى جالسة بجوار المعلمه؛ ولكنها كانت تنظر إليه؛ وهى الوحيدة التى شرد عقلها فى عينيه؛ لتسترجع ذكرياتها مع الشاب القاهرى الذى عشقته من أول مرة رأته فيها؛ ورأت فيه الحياة؛ وفى عين الشاب الوسيم المستقبل القريب؛ كما حدث مع حبيبها عندما كان ثورى يعبر عن أحداث البلاد الظالمة بأغانيه؛ حتى أصيب بطلق طائش كان موجه له هو بالأخص ! وهو ينشد أغانى الثورة بحماس على المنصة فى قلب ميدان التحرير بصورة استعراضية مبهرة؛ جعلته من أشهر مغنى الثورة؛ والآن هو قتيل ملقى وسط صراخ المتظاهرين؛ فى رأس الشاب استقرت الرصاصة عن عمد؛ ولكن الحكومة قالت أنه طلق طائش؛ ومات الثائر بأغانيه؛ مات دون كلمة وداع؛ مات بعدما ترك بصمة فى

قلب كل متظاهرى التحرير؛ مات وهو مؤمن بالله الواحد؛ بعدما احتضن صورة التحرير فى عينيه وأغلق عليها. أبحث داخلى عن رحم الجمال ليخرج لى مولود السعادة حتى ابتسم معه ابتسامة فرح؛ ولكنى لم أجد سوى رحم التعاسة منتظر تجديد أحشائه بحزنى؛ وأنا حزنى عتيق؛ قطرة منه كفيلة بفتح أبواب عيونى لتنزف سيول دموع على الذى فارق ولم يترك لى إلا بئر ألم أروى به ظمأ شقائى؛ لأعود إليه أبحث فى أعماقه عن ترياق وجعى ليرتوى فؤادى عذاب وألم فى دنيا مليئة بالظلم والطغيان. شاردة الاستعراضيه فى اللاوعى داخل عين الشاب؛ وتنتبه إلى نظرة عينيه لها؛ وبالطبع بعدت عنه بعينيها وهى تتساءل: أى نهاية مكتوبة لك؟ ولأن الشاب لم يجد فيها مراده ذهب إلى الجامده وهو فى مكانه يسألها عن سبب صمتها؛ وهى كانت صامتة فى مكانها ولكنها غاضبة بالداخل؛ مزدحمة الأفكار؛ تصرخ فى سكون عن سبب كل هذا؛ ماسيحدث فيما بعد؛ ثم تعلن استسلامها أمام فرض سيطرة الظلم على جميع أسوار البلاد والأحداث.. تعلن الموت خوفآ من الدنيا والعالم؛ أحداث متتالية تتسابق داخل مخيلتها؛ وكأنها فى حلبة ثيران الأقوى هو من يثبت وجوده؛ ويظهر فجأة رجل لم يتخلّ يوم عن زيارتها فى مخيلتها؛ هذا الرجل الذى جعلها تبيع جسدهاً انتقاماً منه؛ لأنه أول من رفضها

معلناً أن الجسد لا يحمل أكثر من طاقته؛ ولم يشتر المجد إلا فى دائرة مكافحة الآداب؛ ولكنها عنداً فيه قد صنعت مجد حتى لو مؤقت فى عالم الصحافة والكلمة المقروءة، تمسك رأسها وجعاً؛ تحاول أن تخرجه من داخلها وتحتفظ بوجودها فقط حتى أعلنت أنها تائهة فى اللامنتهى..

تائهة أنا فى اللامنتهى
ثبتى أقدامك فى الكون تكون كالجذور فى أعماقه.
لم يبغ لى الوجود وأبتغى لى الرحيل من أوطانه.
وطنك هو سجودك لرغبات نفسك الحرة.
لم يمر بعمرى لحظة أنين هزت مذبح نفسى هكذا منذ الأزل.
مابعد الشتاء ربيع يتجدد فيه نسائم العليل تسبيحاً.
غابت عنى أيام الربيع..
وتبدلت بإعصار شتاء لن تشرق فيه شمس الحياة من جديد.
إذاً اصنعى من ابتسامتك شمس حياة تشرق للعالم نور حب..
وداخلك يكون الدفء.. من جديد أسكن الدفء محرابى؟
من جديد أشرق شمس الحياة فى الوادى؟
لا أبغى من الحياة إلا الرجوع إلى الماضى.
محرابك مذبح تعلو فيه التراتيل إسراءاً ومعراجاً..
لا تبخلى على عبيدك بتسبيح لحن الحياة بأوجاعك.

أغوص فى الوحدة بزورق مهشم بعدما أغلقت أبواب محرابى..
وصمتت أجراس معبدى..
أنا الرخيصة يادنيا الفناء ولما تبغين جلوسى بجوارك؟.
أصبحتى الآن تتهمين الدنيا بالفناء..
وأنت من روتها بماء الخلود؟.
كنت أراها عروس مزينة بسنابل الخير..
تزرع بذور الحب فى الجميع..
ولم أدر أنها بالفساد ممتلئة.
قد أغلقت عيناكى عن سر الحياة..
ولجمت بحزنك جمح فؤادك..
من حين إلى حين كنت زهرة بالرحيق للعشاق تنادين.
من حين إلى حين كنت زهرة أخذ العشق منها رحيقها..
والآن كالموتى دفنت فى سرداب الذكريات..
ذكرى لا يبغى العشق رجوعها.
أفيقى أيتها الشمس من غيومك تمردى..
إلى فجر يوم جديد أشرقى.
يأسى قد احتلنى وداخل اللامنتهى أصبح مسكنى.
تمردى.. تحررى من قيود اليأس وإلى الملتقى اذهبى..
أحضنى الحياة ولا تستسلمى..

إحتوى الدنيا حتى ترويكى بعشق الكون.
أقدامى قادتنى إلى الهلاك..
كان فى أحشاء كيانى ملاك..
نعم كان ملاك..
غبائى من صوره لى ملاك.
لا تندمى على صناعة يدك..
أنت من خلقت للحياة حرية..
اصنعى من كبريائك لوسيفر يتمرد ويتعالى على الفساد.
وهل من الموت تخلق الحياة؟.
أراكى لليأس تسجدين وأنت للأمل إلاه.
كفر بى عبادى وأنا من سقيتهم معنى الحياة.
إذاً هلمى امرحى فى سوسنتك وإلى الخلف لا تنظرى..
للمستقبل أنت الحياة..
أطلقى عنانك للوجود..
أطلقى شعرك الغجرى فى الكون..
انطلقى كالنجوم فى السماء مسكنها..
وللحب تصبحين أمنية.
قد تمرد الكبرياء داخلى..
حطم قيود اليأس..

خرج أنين الناى بالحزن وتبدل بأنشودة الحياة.

تفكر العذراء فى حياتها القادمة؛ ولكن ملامح وجهها تشير إلى الانتقام من هذا الذى يحاول أن يحتل كيانها؛ ويروض حياتها؛ ويقتل طموحها؛ ثم تحدث نفسها وهى تنظر إلى الجميع.. إذا كنت مجنونة لأننى أجد الحياة داخل السجن أرحم من الحياة وسط بشر اختاروا بكامل قواهم العقلية أن يلقبوا بلقب القوادين.. فأنا مجنونة؛ إذا كنت مجنونة لأننى رفضت بكل قوتى العقلية والنفسية والفكرية أن أكون فى مستوى متدنى لأنى فقط أنثى.. فأنا مجنونة؛ إذا كنت مجنونة لأننى أعلنتها للجميع أننى إنسان أمتلك عقل وجسد وشخصية مستقرة لا تخضع لأحد لمجرد أنه يحمل لقب ذكر.. فأنا مجنونة؛ إذا كنت مجنونة لأننى أخترت حياة خاصة بى أحياها؛ ورسمت بتفكيرى مستقبل بعيد عن الروتينية من الزواج لأنه سنة الحياة؛ وفرض علىّ حتى أدخل دائرة الستر وأخترت لنفسى طريق العلم وإثبات الذات.. فأنا مجنونة؛ إذا كنت مجنونة لأننى حاولت أن أطلق العنان لطموحى وإبداعى؛ رافضة المثول والاستسلام لتقاليد مجتمع جاهل يرى الأنثى فى زيها الفضفاض وتتأرجح على كعب عالٍ وتضع مساحيق الوجه لتظهر جمالها؛ وتكون على مدار الساعة فى ثوب الخشوع والطاعة ومسلوبة الإرادة؛ ملغى عقلها؛ محجوب على رأيها وألا

تتهم بالوقاحة والجنون.. فأنا مجنونة؛ إذا كنت مجنونة لمجرد أننى أطالب الجميع بأن يعاملونى كإنسانة كاملة تمتلك عقل وروح ورغبات أعلنها حتى أشبعها بمن أحبه.. فأنا مجنونة؛ وإذا كان الجميع يتهمنى بالجنون؛ إذاً احترسوا منى أنا المجنونة لأن المجنون لا وذر عليه؛ وأنا على كامل الاستعداد لقتل من يقف فى طريق حريتى الشخصية؛ والدخول السجن بإرادتى أنا فقط أيضآ؛ وليس بإرادة أحد لأننى لست فاقدة للأهلية ولا عقلى ناقص؛ أنا إنسان كامل مثلى مثل الكثير منك وأكثر من الكثير منكم.

هكذا أعلنت العذراء فى لحظة صمت؛ وسط سكون الجميع عن جنون عقلها من كثرة انتهاك حقوقها فى التحكم فى شئون حياتها؛ ولكن بالطبع دون جدوى؛ لأن شقيقتها قد أخرجتها من غرفة الجنون التى دخلتها فى ذهنها؛ عندما وضعت الإيشارب على رأسها لتغطى شعرها؛ وكأنه مصدر شهوة جميع الشباب؛ والشباب فى أنتظار ظهور شعرها لتثير الشهوة لعاب جوفهم؛ ولأن العذراء قد ضاقت بها الدنيا؛ وشعرت بأنها على أبواب الحرية من سجن تحكمات عائلتها المتسلطة؛ قد نزعت الإيشارب من على رأسها واتجهت إلى التواليت؛ ليس لتقضى حاجتها ولكن لتشرب سيجارة؛ فهى مدخنة ولكن فى الخفاء، لم تجد لعقلها ملاذ من كبت التحكمات إلا التدخين حتى تشعر ولو للحظات

بأنها تصنع شئ ولو بغيض بإرادتها هى لتنفس عن صعاب أفكارها المتصارعة داخل عقلها الصغير، وهى قد وضعت علبة السجائر وبداخلها الولاعة خلف دولاب العاملين أمام باب التواليت قبل دخولها الحمام لتستبدل ملابسها؛ حتى تستطيع من وقت لآخر أن تسرق دقائق من زمن شقيقتها وتشرب سيجارة فى التواليت.

داخل التواليت تخرج الدخان من فمها وهى تتأمل السيجارة؛ وعيناها تتسع اسيعاباً لحقيقة مدمرة؛ أنها مدخنة وعروس الغد؛ وغداً سوف تصبح حرة؛ لذلك قررت أن تلتهم الحرية اليوم وليس الغد؛ تعلن حريتها وتخرج من التواليت وتقف أمامه ليراها كل من يمر أمامها، أراها كل مرة وكأنها المرة الأولى؛ كان اللقاء الأول بيننا منذ ثلاثة سنوات؛ جالستها فى الخفاء؛ كانت مفعمة بالحيوية والراحة؛ وأكثر ما جذبنى إليها أنها أتاحت لى الفرصة أن أحيا معها الحرية، كان لقاؤنا دائماً بالخفاء؛ بعيد عن عيون البشر؛ نوع من التمرد على واقع مرير كنت مجبرة عليه؛ ودائماً كنت أهرب من واقعى إلى نفسى معها؛ وكأنها كانت تحتفظ بنفسى معها؛ أجالسها.. أعاتبها.. أشكو لها قسوة الحياة دونها هى النفس الحقيقة؛ غير مدركة أن صداقتها ستجعل الناس تتهمنى بالانحراف حين أكتشف سر صداقتى بها؛ وأنا لا أعلم ما سر هذا الاتهام بالانحراف مع صديقة أجد نفسى معها؛ وحريتى فيها؛

وإبداعى بها؛ غير أن صداقتى غير مضرة لأحد سوى أن الشكل الاجتماعى لبشر تصنع القيود بيدها لتقيد بها نفسها؛ تجد أن هذا النوع من الصداقة محرم؛ أو أنه نوع من أنواع الانحراف والانسياق فيما بعد إلى الرذيلة؛ وكأنها عاهرة وسوف تحولنى إلى مومس؛ وأنا لا أنكر أن إخفاء صداقتى بها فى بادئ الأمر استيعاب غير مباشر من عقلى بأنها صداقة محرمة؛ طبقآ لتقاليد المجتمع الذى أراه متناقض كليآ فى أفعاله وأفكاره؛ ولكنى أجد نفسى معها حتى لو كانت تشعرنى بالضعف فى بعدها؛ أو الغيرة عندما تتملكنى حين أراها بين صدر عاشق غيرى؛ أو تجالس صديق غيرى وأنا من مجدتها وكتبت فيها أشعار وقصائد أخشى أن يقرأها غيرى؛ حتى لا يتهمنى بالشذوذ أو الانحراف؛ كما حدث واكتشف من حولى علاقة صداقتى بها؛ كانت ومازالت تتملكنى الغيرة من غيرى عندما أعلم أنا المحرومة منها أنها ملك غيرى؛ وغيرى يتباهى بصداقته وحبه لها خاصة عندما قررت أن أضع حد لعلاقتنا؛ وكان القرار صائب رغم صعوبة تنفيذه؛ وأنا قد انفصلت عنها بإرادتى بعدما تأكدت أنها مضرة جدآ لى ولشكلى الاجتماعى؛ وأنها سبب مباشر لإهدار صحتى الجسدية؛ وهى كانت مسكن نفسى وعين روحى الباحثة عن الحرية والتحلق إلى أعالى السماء؛ كانت تمثل لى روح تخرج منى إلى الكون؛ تقبلنى بقبلة الحياة تجعلنى فى

كل لقاء أحيا معها حياة جديدة؛ مجددة إنارة إبداعى؛ ملهمة فؤادى، وكان الانفصال الوجدانى قاسى ملئ بالوجع والإهانة كلما رأيتها أمامى سهلة الالتصاق بها ولكنها فى حضن غيرى؛ تشبعه بقبلاتها الملتهبة.. بملمسها النارى.. بابتسامتها المشرقة دائماً؛ كالشمعة تضئ للأخر حتى تفنى من حياة الوجود؛ ولكنى ضعفت.. نعم ضعفت أمام قوامها الممشوق؛ وروحها المرحة؛ ونفسى الحرة؛ ووحى النابع منها؛ وعادت العلاقة من جديد ولكن بعدما نضج عقلى؛ وتأكدت أنها حرية شخصية أن لى كامل الحرية فى اختيار من أصادقهم أو أخرج معهم؛ أنا فقط من تملك زمام أمورها؛ وحدى لى الحق فى اختيار وسيلة تعبيرى عن شخصى؛ وحدى أعيش ووحدى سأدفن ووحدى سأحاسب أمام رب الكون؛ إذآ لماذا أهتم بمن هم مثلى بشر يحللون لأنفسهم ما يحرموه على غيرهم غير مدركين أن جميع البشر أمام رب الكون متساوون لا فرق أمامه بين رجل وامرأة؛ جميعآ أمام الله مسئولون عن أفعالنا.. أفعالنا فقط؛ لذلك أعلنها أنا المتمردة على قيود التقاليد أننى على علاقة صداقة وثيقة جداً تصل إلى حد العشق بالسيجارة.. نعم أنا مدخنة لأننى لم أجد نفسى إلا معها؛ وسأظل معها حتى يقف قلبى عن نبض الحياة؛ حتى لو كانت علاقتى بالسيجارة محرمة أو غير معلنة.

تمر مرة أخرى المنحرفه أمام الشاب الوسيم؛ متجهة إلى

طاولتها الخاصة؛ وبالطبع تتابعها بطه بنظرات شفقة؛ أما المومس قد استوعبت أن المنحرفه تحاول أن تلفت نظر الشاب؛ لأنها خبرة فى هذا المجال بحكم عملها؛ وبالتالى تابعت المومس ومعها عيون الشاب المنحرفه وهى تميل بإغراء تبحث عن حذائها وهو تحت الطاولة؛ وتحضر ملابسها بدلع مصطنع؛ وتبدأ فى ارتداء البنطلون وهى تميل لتظهر ثدييها؛ وعيناها ترتفع إلى الشاب فى رسالة دعوة لها؛ ورأت المومس ابتسامة فى عينيه وكأنه قبل الدعوة؛ والمنحرفه تلتفت إلى الحائط تخلع السونتيانه لترسم حبات المياه لوحة سريالية على ظهرها وهو عارى بالكامل، نصف جسد عارى يثير شهوة أعظم رجل دون الخضوع إلى التقاليد أو الإرادة وهى هنا مسلوبة؛ لا إرادة تقيم فى وجود جسد عارى؛ ولكن الغيرة قد اشتعلت محرقتها داخل جوف المومس؛ وهى تقرأ دعوات المنحرفه للشاب وهو جالس معها هى؛ وعينيه عند المنحرفه؛ لذلك لم تجد المومس إلا أنها تجذب الشاب بطريقتها الخاصة إليها، تقدم له سيجارة مشتعلة وهى مبتسمة؛ ليهدأ خوفه من الحكومة؛ وأخذ الحديث مكانه بينهم والضحكات الرنانه من المومس قطعت خيط الأمل للمنحرفه؛ وأعلنت للجميع أنها مومس رغم أنف الجميع وكأنها متقنة طبيعتها الحقيقية؛ وبين نظرات الجميع لها ومراقبة نظرات الشغف فى عين الشاب؛ جلست بطه

تحدث عقلها؛ وتحلل هذا الكائن الغريب عن عالمها الأنثوى؛ وعلى ملامح وجهها اشمئزاز مقزز من كل شئ؛ متى يسمح للإنسان أن يلقى بذاته فى التهلكة؟ وما هو تعريف التهلكة؟ هى إهدار النفس فى الفراغ.. تدمير الروح فى العالم الفانى؛ التهلكة هى أنك تبيع نفسك للشيطان ؛أى أنك تدمر نفسك كلياً؛ أنك تبيع أهلك وناسك وكل المهتمين بك وبحياتك؛ مقابل نزوة سوف تمر عليك مرور الكرام وكأنها لم تكن؛ وترجع لتجد من كانوا حولك يراعوك ويهتموا بك نفوك من حياتهم؛ لأنك أصبحت كائن وضيع؛ وغير مؤهل لمشاركتك معهم إنجازاتهم ونجاحهم؛ وتشعر بالغربة معهم لأنهم أصبحوا أرقى وأعلى منك فى المستوى الإنسانى والاجتماعى، أنك تنساق خلف وهم المخدرات هارباً من واقع أنت أضعف من أنك تحاول أن تغيره؛ وتجلس مع المدمنين تستنشق المخدرات وتحلم بواقع بعيد عن حقيقتك؛ حتى تصبح مدمن مرفوض وجوده فى المجتمع والأسرة؛ وبالتدريج تسرق.. وتحتال.. وتدخل فى علاقة محرمة مع واحدة وضيعة مثلك؛ تأخذ منك عطفك وحبك وأنتماءك لأهلك؛ وتفضلها هى صاحبة شباك النبى النجس عن أشقائك الشرفاء؛ لمجرد أنها تمنحك جسدها لتشبع رغباتك الملتهبة من تأثير المخدرات ورغبات جسدها المشتعل دائماً مثل السيجارة؛ كلما أخذت منها نفس تزداد اشتعال حتى تلقى على

رصيف اللهو الشنيع كالمشرد؛ يمد يده ليطعم هذا الوحش الذى ينهش فى جسدك لتشبعه بالمخدرات حتى يهدأ؛ كم أنت غبى أيها الوضيع حتى تلقى نفسك فى التهلكه لتملأ فراغك الداخلى بوهم المخدرات؛ واللهو مع الساقطات تغلق العين عن دموع من يهتم لأمرك توسلاً لك بعدم الاستسلام لشهواتك الشيطانية؛ موصد أذنيك عن سماع كلمات النصح والارشاد لتكون إنسان محترم بأعماله الصالحة واحترامه لمن هم جديرين بالاحترام، وأنا لا ألوم عليك لأنك راشد؛ ولأنى أول من تركك تلقى بنفسك فى التهلكة حتى أستريح من تحكماتك؛ ولأثبت لمن هم فضلوك عنى تاركين لك الحرية تتمتع بها؛ وكانت نتيجتها ضياعك؛ أما أنا فأصبحت أرقى وأعلى منك ومن ميزك عنى؛ وأنا وللأسف أتوقع لك يا من امتلك الحرية حتى أضاع نفسه فيها؛ بنهاية غير مشرفة وغير مناسبة ولمن تركوا لك حبل الحرية حتى ضعت فى التهلكة؛ وضاعت معك الصورة المشرفة لهم وسط الناس؛ وأنا وبكل قوة رغم تأثرى النفسى والاجتماعى بهذه النهاية المتوقعة؛ أراها منصفة لك لأن أمثالك لا يستحقون أن يعيشوا وسط بشر تبصر المستقبل فى الحاضر؛ وحتى يتعلم الجميع أن التميز ما هو إلا سيف يفصل بين الصالح والطالح؛ ولكنه يلقى بالاثنان فى سلة واحدة؛ هى سلة الحقد والتمرد والفساد.

كانت تحدث بطه الشاب الوسيم بينها وبين نفسها؛ وكأنها كانت تحدث شقيقها القتيل من جرعة زائدة من المخدر الكيماوى؛ وماتت أمها حسرة وألماً عليه؛ وكان أحد أهم أسباب رفض المعلم الكبير من زواج ابنه لها؛ وهو أن شقيقها مدمن.

الجميع جالس فى استعداد للمغادرة؛ والشاب يسجل رقمه الخاص فى موبايل المومس؛ وأنا بين الجميع جالسة؛ ونفسى هائمة فى ملكوت الله؛ روحى هناك خارج حدود المسكونة؛ تهيم على ضفاف النيل؛ أبحث عن مسكن الشمس؛ وأعد خطوات النسيم وهو يراوغ أوراق الشجر؛ ونظرات العشاق والحالمين تبتسم سعادة بلعب الأضواء الكاشفة مع أمواج النهر الساكن؛ رسمت على دروب الأهوال خطاى على أمل أن أجد لذاتى الفرار من هذا السرج العظيم وهو الأوجاع؛ لا أدرى لما يحدث معى كل هذا؛ وإذا كان ما يحدث معى يحدث مع غيرى أيضاً؟ لا أدرى ولكنى يائسة فى هذا العالم البغيض؛ لم أجد ذاتى يوماً حتى تتحقق الأمنيات؛ وأنا وحيدة وسط سرج البشر؛ أنتمى إليهم شكلياً ولكن داخلى أنا غريبة عن الجميع.. بعيدة عن الجميع؛ لا أرى لذاتى مسكن وسطهم؛ لذلك أحيا غريبة وسط البشر؛ وأنا من وُلدت بينهم من رحم الطبيعة؛ لا أبالى لصعاب ولا ألتفت إلى معوقات، وأنا تعبت يانفسى وأعلم أنك أرهقتى؛ وأنا لست أنا؛ وأنا بين الحياة والعالم أبحث عن سلسبيل

يروى ظمأ غربتى بمياه الوطن لأزرع فيه بذور جذورى الإلهية؛ أنا من وُلدت من رحم امى ونفخ الله فى جسدى من روحه؛ لم أنعم بها يوماً وسط كائنات تجرعت الشر فى الرضاعة؛ وتغذى جسدهم من ظلم الزمان حتى أصبحوا له عبيد؛ لم أعلم بعد لما كل هذا الظلم فى قلب الطبيعة البشرية؛ والحياة الغنية بالمآسى والدموع وكأنهم للماسوشية أصبحوا تلاميذ؛ أخذوا من لوسيفر إله يتعبدوه فى الخفاء والاسم مؤمنين؛ رفضوا الانصياع لإله الكون وللشر أصبحوا مأجورين؛ لماذا يا نفسى لا تبحثى عن عالم آخر تحييه؟ بين القبور يمكن نتعظ من منٌ سبقونا؛ أو وسط الجبال يمكن نتعلم معنى التوحيد مع الله.. أنا لا أهزى ولكنى أبوح من فيض وحدتى لذاتى فى الحياة منفردة بنفسى؛ متأملة الكون بروحى وأنا من خلقت من روح الله؛ وهو جميل يحب الجمال؛ لا تبالى يا نفسى بمن وصفهم العالم والعلم بالبشر لأنهم كفروا بالبشرية؛ كونى يا نفسى كما ينبغى أن تكونى حتى تحين النهاية.. ربما كانت هى البداية.

نعم اؤمن أنها البداية.....

* * *